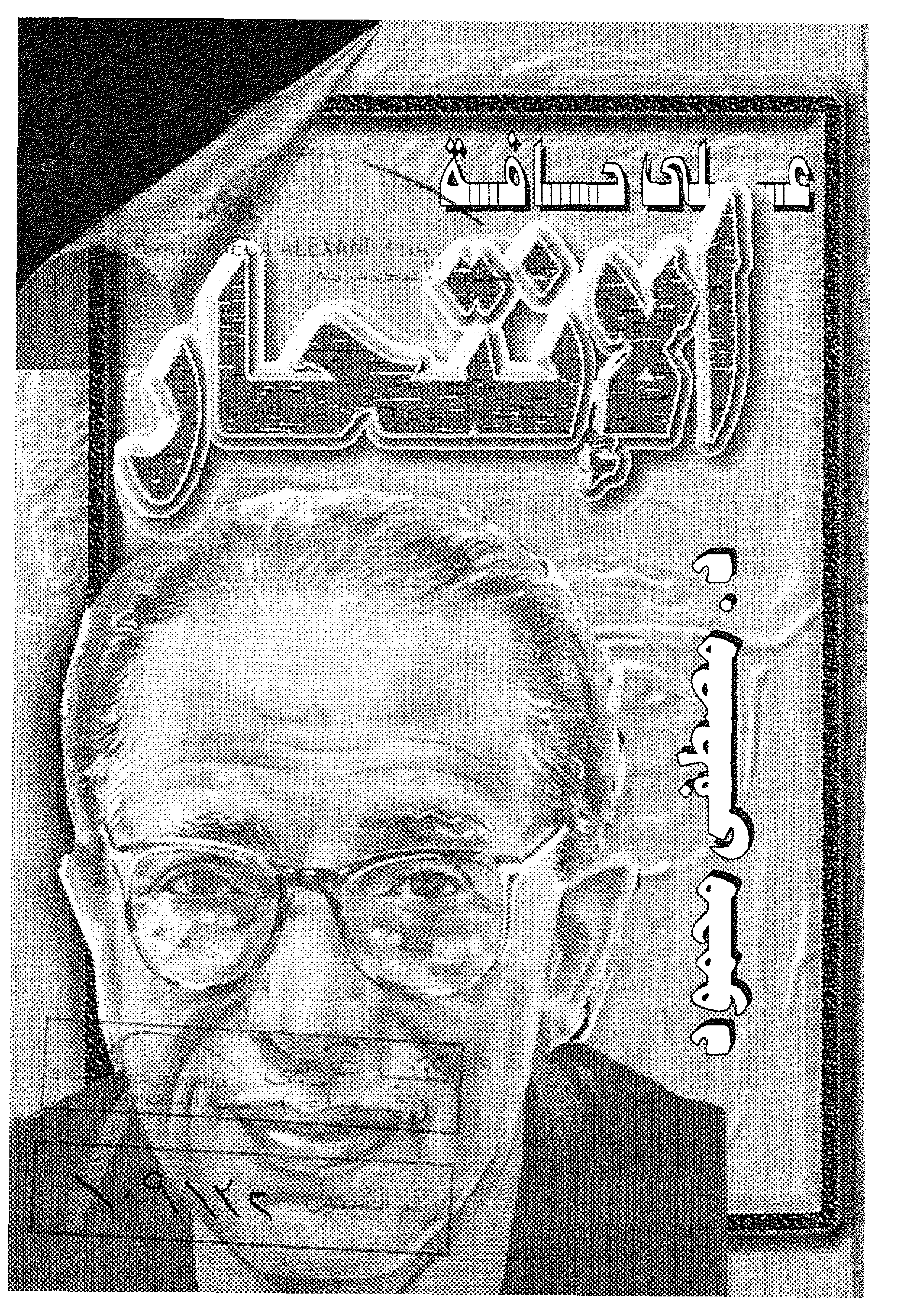


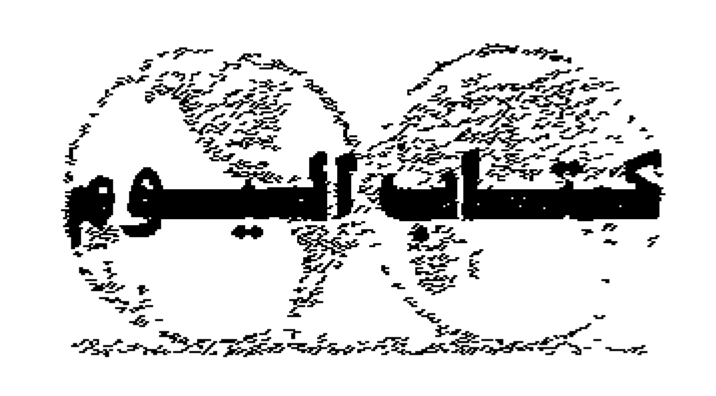
قطاع الثقافة

الأعمال الكاملة للدكتور مصطفى محمود

على حافة الانتحار

دكتور مصطفى محمود


على حافة
الانتحار
د. مصطفى محمود



عدد يوليو

الغلاف بريشة الفنان :

عمرو فهمى

الإخراج الفنى :

أحمد سامح حسين

١

الانتحار

الهجمات الانتحارية فى داخل إسرائيل معناها.. أن الموت عند الفلسطينى أصبح أهون من ذل الاحتلال.. وهو تصعيد مرعب للصراع.. ولايدخل هذا الانتحار ضمن الإرهاب.. بل هو الفداء فى مواجهة المستحيل.

ولانستهين بأرواح أبرياء تزهق ولانتغاضى عن دماء تهدر بلاذنب ارتكبه أصحابها ولانـدافع عن قتل عشوائى.. ولكننا أمام صورة لمأساة متكاملة لابد من النظر إليها من جميع جوانبها دون الاكتفاء بالتأوهات العاطفية.. فوراء نزيف الدم فى فلسطين هناك تاريخ طويل من المذابح والنسف العشوائى لبيوت الفلسطينيين والطرد والترحيل والتشريد واغتصاب الأرض وكل وسائل الضغط والارهاب والترويع من جماعات صهيونية هى بالفعل عصابات ارهابية محترفة تستمد السلاح والمال والمساندة المعنوية من أمريكا ومن الغرب الأوروبى.. وحينما جاء السلام بعد أربعين سنة من

القتل والتشريـد وبعـد تهجير أكثر من أربعـة مـلايين فلسطينى فى أرض الشتات.. جـاء سلامـا ناقصـا وغير عادل ومثقـلا بالتشـدد والقيود وفى حماية تهديد ذرى غير مشروع وترسـانة نووية زرعت فى قلب الـوطـن العـربى لاتجد لها الـدول العـربيـــة ردا ولادفعـا ولاتعـــرف لها وقـــايـــة.. فهل يستغـــرب أن يكتشف الفلسطينى الضعيف المقهـــور فى نفســه القـــوة على تفجير نفســه فى هجمات انتحاريـة.. هى الأخرى ليس لها رد ولادفاع ولاوقـاية ليرد بها على هذا الترويع والتركيع الذى لايجد له حيلة ولايهتدى فيه إلى سبيل.

وماذا يجد الفلسطينى من الضمانات فى عصر السلام.

إنــه لايجد من الماء إلا ماتسمح بـه إسرائيل.. ولايصرح له بـدق ماسورة فى أرضه ليستخرج شربة ماء إلا بإذن.. وإسرائيل تسحب الماء من تحت أرض الضفـة بمواسير وتقيم عليهـا نقـاط حراسـة وعسـاكر بـالرشـاشات.. وتفتح أو تغلق محابس الماء على الفـلاح الفلسطينى كما تشاء.. وهى تحت دعـوى السلام مـازالت تستولى على المزيـــد من الأرض بمعـدل ألف وخمسمائة فـــدان من الأرض الفلسطينية شهـريا تضمهـا إلى أرضها وتبنـــى عليها المستـوطنات الاسرائيلية والمعسكرات ونقاط التفتيـش وتحاصر عرفات فى جيوب لايستطيع أن يخرج منهـا أو يســافـر خـارجهـــا إلا بفيـزا وإذن وتصريح اسرائيلى.

وهو الرئيس الوحيد فى العـالم الذى لايحق له أن يتحرك فى بلده إلا بإذن.

وقـد وافق ياسر عـرفات على هـذا الصلح العجيب بعد مشـوار مرير وتحت ضغوط دولية وأمريكية مرهقة.

وبالرغم من أن الوضع غير طبيعى بـالمرة فقد طلبت أمريكا من جميع الحكومات التطبيع على هذا السلام.

كيف يمكن التطبيع على شىء غير طبيعى؟!!

وقالوا ان أصحاب الحق (عرفات والمنظمة) قبلوا.. فما دخلكم أنتم.. فقبلنا .. ثم أصبحت قاعدة.

وجرى على الكل ماجرى على الفلسطينيين.

فى سوريا طلبوا نصيبا من الجولان السورية ونصيبا من المياه السورية وحقوقا للتفتيش على الجيش السورى والأسلحة السورية والنوايا السورية.. ومازالت المفاوضات تتعثر.

وفى الأردن أعطى الحكم الأردنى الأرض وأعطى التسهيلات وأعطى نفسه وأعطى مستقبله.

شىء غير طبيعى تماما .

ومع ذلك يريدون منا التطبيع على هذا الوضع غير الطبيعى (أن يكون لهم إمكانية الهجوم ولا يكون لنا إمكانية الدفاع.. وكأننا بوسنة أخرى) .

ولكن معنى التطبيع Normalisation يعنى العودة إلى التعامل الطبيعى.. فى الوقت الذى لا يوجد فيه شىء واحد طبيعى .

كيف يمكن أن يكون هذا اتفاق بين أنداد.. وكيف يمكن قبوله وهو يتصف بكل هذا التعالى والغطرسة.. وكيف يساند العالم كل هذا الظلم.. وتؤيد أمريكا كل ذلك الجور .

وكلينتون مشمئز مما يحدث من عنف ودموية فى الأرض المحتلة لأنه ينظر بالعين الإسرائيلية ويسمع بالأذن الصهيونية ويمسك بالميزان المائل الذى يقدمه له الكنيست .

وهو يقول لإسرائيل.. سوف نحارب معكم لفرض هذا السلام .

يحارب من ؟ !!

إن الانتفاضة الدموية هذا المرة.. انتفاضة أفراد.. وسوف يتحول الملايين الستة من الفلسطينيين إلى ستة ملايين قنبلة

مـوقوتـة.. كل واحد قـرر أن يمـوت فى مقابل قتل مـائة إسرائيلى.. لايعرف أحد متى وأين ولا كيف .

وهى حـرب لا تنفـع فيهـا دبـابة ولا طـائرة ولا قنبـلة ذرية ولا CIA ولا جيوش نظـامية.. لأنـه لا يوجـد تنظيم.. وإنما يـوجد فـرد واحد لا أحـد يعرفـه.. لبس حـزام ديناميت وقـرر أن يصنع كارثة .

إنه ضمير يائس مُحبط قرر أن ينفجر فى الناس .

ماذا سوف تصنع أمريكا بالضبط لحصار هذا الهول .

إن العالم حولنا يموج بالعنف .

وفى إيرلندا عنف دمـوى وانفجارات مستمرة من سنين ولا يملك جون ميجور إلا أن يجلس للتفاوض.. ثم تتعثر المفاوضات.. فيعود الطرف المقهور إلى العنف لأنه لا يجد أسلـوبا غيره يقنع به الطرف الغاصب .

والمقهـور والمحتل فى كل مكان لا يسمى إرهـابيا إذا حـاول أن ينتـزع حقه وأن يستعيـد كـرامته بأى وسيلـة.. وحينما تفشل كل الوسائل السلمية لا يبقى أمام المظلوم سوى العنف .

وعلى أرض فلسطين هناك شعب طُرد وشُرد وقُتـل وأُبيد وجربت معه كل وسـائل التعذيب.. وبطول أربعين سنـة من مباشرة المذابح والمجـازر على الشعب الفلسطينى لم نـر أحـداً مـن الـرؤسـاء الأمـريكيين يشمئـز لنـزيف الـدم الفلسطينى المستمـر.. بل رأينـا أمريكا تتوج هذا الظلم بقـرار من الكونجرس تقول فيه للمغتصبين الظلمة .

« والقدس أيضا لكم عاصمة أبدية » .

وألقت أمريكـا بهذا التحدى فى وجـه ألف مليون مسيحى وألف مليون مسلم لهم مقدسات ولهم حقـوق فى القدس أكثر من حقوق اليهود .

واحتج المسلمون واحتج النصارى.. واحتج بابا الفاتيكان.. ومضت أمريكا فى تحيزها الظالم ولم تعبأ بأحد.. ولم يشعر كلينتون بهذا التحيز الجائر وهو يعلن اشمئزازه منذ أيام من الهجمة الانتحارية لرجل حماس الذى أعلن بطريقته.. أنه يرفض الظلم.. وأن الموت عنده أهون من ضياع الأرض والكرامة .

وهى ليست صرخة بلا قضية.. بل هناك قضية بالفعل.. ولابد أن تحل بالعدل إذا أريد لنزيف الدم أن يتوقف .

أما اجتماع العالم كله على شعب ضعيف ومساندة الأمم المتحدة وأوروبا وأمريكا وانجلترا لإسرائيل لكسر ظهر الشعب الفلسطينى وفرض تسوية ظالمة بالشروط الإسرائيلية المجحفة فهو طاغوت وجبروت لن يصنع سلاما ولن يثمر حلا .

وأعود فأقول.. إن الجروح القديمة لا يمكن أن تغلق على صديد.. وإن سلام بلا عدالة هو استسلام وإهدار للكرامة لن يقبله أحد .

وإذا استمرت أمريكا على تحيزها وظلمها واستمرت الصهيونية فى تآمرها الفاجر على حكومات العالم فسوف ينفجر برميل البارود وتفتح أبواب الجحيم .

وسوف يدفع الجميع الثمن .

ولن تستطيع الترسانة الذرية أن تفعل شيئا.. فإن القنابل الذرية لا تستطيع أن تنسف أرواحا .

ولن تستطيع أجهزة التخابر أن تكتشف قلبا قرر صاحبه أن يموت .

ولا نحب العنف ونــرفضـــه مـن جميع الأطــراف.. ولكن على الأقوياء أن يقوموا بـالخطوة الأولى التى تكفل العدالة للضعاف قبل أن يتباروا فى التهديد والوعيد .

وها نحن قد بدأنا بالملاينة والمهادنة واجتمعنا ثلاث عشرة دولة عربيـة فى شرم الشيخ مع كل أقطـاب العالم نمد الأيـدى لإسرائيل بـالسلام ونبـذ الارهــاب والآن وقـد رضى القتيل.. فهل سيرضى القاتل.. ؟؟ !!

وهل تذوب أحقاد الألفى سنة .. ؟ !!

أشك فى ذلك.. وأرى الدمار على طول الطريق وها هى البشائر.. خمسمائة قـذيفة تنهمـر على الجنوب اللبنـانى أثناء مـؤتمر المودة والمحبة فى شرم الشيخ.. والبقية تأتى .

نهـاية عصر الحـب

ومن نزيف الدم فى فلسطين إلى نزيف من نوع آخر يوجع القلب ويؤذن بنهـاية عصر الحب والـوفاء وانهيـار لقيم الأسرة ولقـداسة الرباط الزوجى .

ويحدث هذا فى بريطانيا مسقط رأس روميـو وجولييت وعاصمة الغرام الأبدى الذى تغنى به شكسبير .

وجولييت الجديدة هى الأميرة ديانـا وروميو الجديد هو البرنس تشارلز اللذان بدأ زواجهما بعاصفة من الرومانسية وأكاليل الورد وعقـود البنفسج وانتهى إلى مســاومـــة على ثمن الطـلاق وأسعـار الانفصال .

جولييت ترفـض الخمسة عشر مليونا وتطلب ثلاثين مليـونا من الجنيهات الإسترلينية أى حوالى ستـة وأربعين مليون دولار بمعدل ١٤ألف دولار عن كل ليلـة زواج بالاضـافـة إلى الاحتفاظ بـالقصر الملكى لإقامتها وبالألقاب الملكية والوظائف الفخرية .

وقد اعترفت جولييت وفى هدوء عجيب أمـام عدسات التليفزيون بأنها خـانت زوجها لعـدة سنوات وأنها شـاركت عشيقها الفـراش وكانت تحبـه وتعبده.. وأن زوجها فعـل نفس الشىء.. وأنها كانت تعلم بعلاقته .

وكله مكسب .

لقـد كسبت الشهـرة بـزواجهـا وكسبت الملايين بطـلاقهـا.. وخـانتـه.. وعـربـدت واستمتعت.. ولم تخسر شيئـا.. حتى حمرة الخجل لم تظهر على خديها أمام مئات الملايين الذين شاهدوها على الشاشة الصغيرة .

وأخطر ما فى الموضوع أنها أعطت المثـال لشباب وشابات الجيل الجديد.. ومـن أعلى منصة.. من عـرش الملكية البريطـانية صـاحبة التقاليد العتيدة .

ولتحيا اللذة والفرفشة ولتحيا الملايين وليحيا العبث .

وليسقط الحب وليـذهب الحيـاء والـوفاء والـربـاط الأسرى إلى الجحيم .

حقا .. إننا نعيش عصرا جديدا لا نعرفه .

كيف توارت الفضائل فى خجل وكيف تسابقت الخيـانة الزوجية إلى مقعد الشرعيـة تتباهى وتتهتك أمـام الكاميرات.. ثم لا أحـد من الجمهور يستنكـر.. أو يرى عيبـا يدعو إلى مـؤاخذة.. بل قـالوا إن الأميرة ديانا قد كسبت شعبية أكثر بعد حديثها التليفزيونى .

وقـديما أهلك الله قـوم نـوح بكفرهـم وأهلك قوم عـاد بظلمهم وقـوم صـالح وشعيب بفسـادهم وغشهم فى الموازين وقـوم لـوط بشـذوذهم الجنسى ونجـد كـل هـذا يجتمع فى عصرنـا.. ويبث فى القنوات الفضائية ويعلنه أصحابه أمام الكاميرات ويتفاخرون به فى المجـالـس.. وتظهـر مجلات متخصصـة فى العـرى ومجلات

متخصصة فى الجنس.. وتتداول أقراص للنشوة ومخدرات لإطالة اللذة.. وكل هذا يباع على الأرصفة .

والله من أسمائه .. أنه الصبور .

الشـيخ محمـد الغـزالى

رحل عنارجل كان أمة.. هو الشيخ والإمام والفقيه الإنسان محمد الغزالى.. وترك فراغا لا يستطيع أحد أن يملأه .

وكما تغيب الشمس وتأخذ الظلمة بجماع القلوب هكذا كان خبر وفاته بالنسبة لى فقد كان أخا ووالدا ومعلما ودليلا إلى الخير.. وكان يحب الإسلام بهوى قلبه ويبكى لما يجرى على المسلمين من ويلات كأنهم فلذات كبده .

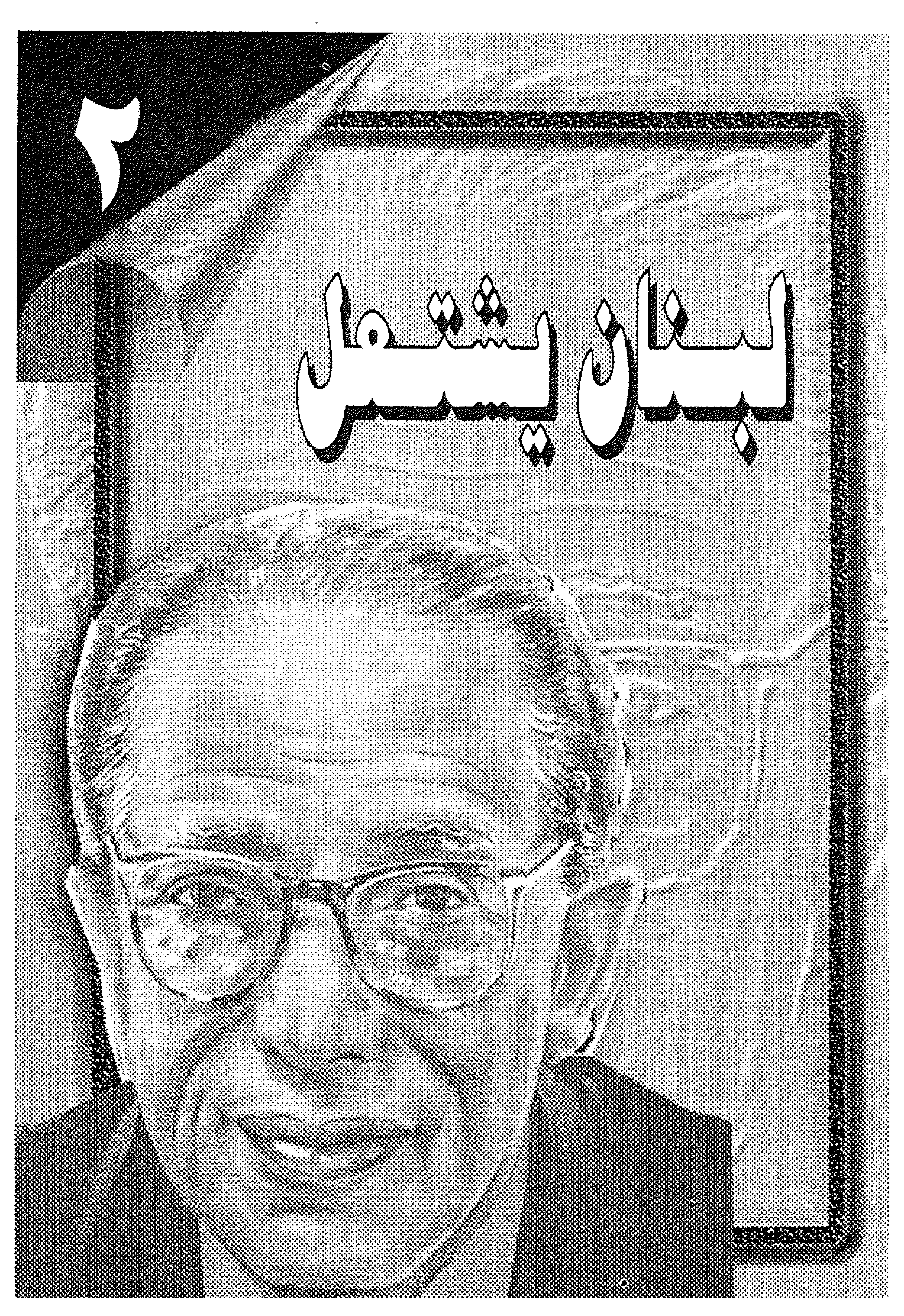
وكان ودودا ، رفيقا ، وديعا ، خيرا.. ونورا فى ليل هذا الزمان .

وبموته رفعت رحمة كانت تشملنا بحمايتها.. وغدونا أيتاما .

ومن قبل ذلك رحل عنا صوت مدو للحرية كنا نحبه ونجتمع حوله هو خالد محمد خالد واشتد بنا ظلام الوحدة .

وجاءتنا الأخبار بصقيع تتجمد له الأطراف وظلم يلف العالم ويخيم على كل أرض تعلو فيها همسة لا إله إلا الله .

وصوت الحادى يقول.. تجمعوا.. اتحدوا.. إلزموا الصف.. ونحن نتفرق.. ونتباعد.. ولا حول ولا قوة إلا بالله .


٢
لبنان يشتعل

لقـد وقعـت إسرائيل فى خطأ قـاتل حينما ظنت أن السـلام مع لبنان يمكن أن يأتى بـالإكراه وبقنابل الطـائرات.. وليس صحيحا أن مـاتخشـاه إسرائيل من لبنـان وسوريـا هـو حـزب الله.. وإنما إسرائيل تنظـر إلى بعيـد.. إلى حلمهـا بـأن تحكم الشرق الأوسط اقتصاديا وتجاريا.. وهى تعلم تماما أن لبنـان وسوريا هما أباطرة التجارة وملوك السوق وأن المنافسـة أمامهما لن تكون سهلة وأن المهارات اللبنـانية والسـورية لن تنهزم أمـام الذكـاء اليهودى وأن اللبنـانى والسورى أشطـر من اليهودى وأقـرب إلى قلوب الإخـوة العرب وهم يعلمون فى الغـرب أن بيروت هى الملجأ الآمن للثروات العربية المهـاجرة.. ويعلمون أن بنوك بيروت وبـورصة بيروت هى الـوعاء المفضـل الذى تصب فيـه فـوائض المال العربـى وأمريكـا لاتريد للمال العربى مقرا ولا مستقرا سـوى بنوكها وإسرائيل تريد أن تهدم هذه الكعبة اللبنانيـة الجاذبة للمال والمسيطرة على التجارة

وتـريد تخويف أصحـاب رؤوس الأمـوال ومنعهم من الاقتراب من بيروت.. ولهذا تلجأ الى سـلاحهـا الأخير.. محاولـة حـرق الأرض اللبنانية ودك البنيـة الأساسية للشعب اللبناني بـالطائرات.. وهى بذلك قد أخطأت مرتين.. فهى قـد زرعت الكراهية والعداوة والشر.. وهى ثانيـا قد خسرت السـلام إلى الأبد.. وأكثر مـن ذلك قد أعطت المثال لكل الجيران العـرب الذين صـدقوا السلام وأمنـوا الى وعود إسرائيل بأنهم لن يحصـدوا من هذه الصـداقة الإسرائيليـة إلا المر والعلقم.

ونسيت إسرائيل أن قنـابلها التى تطـارد أهل الجنوب اللبنـانى وتسوقهم أذلاء مشردين هى نفسهـا التى سوف تخلق فيهم البطل والمقاتل والفدائى الذى لن يعـرف للسلام اسما ولن يرى له معنى قبل أن يصرع هذا المسخ الكريه الذى اسمه.. إسرائيل.

نعم.. إن اسرائيل تصنع من العـرب الودعـاء المستسلمين أبطالا دون أن تدرى.. وهى تؤكد فى وعيهم صيحة القرآن:

« خذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » (٥ ـ التوبة).

« واقتلوهم حيـث ثقفتموهم واخرجـوهم من حيث أخـرجوكم » (١٩١ـ البقرة).

« قـاتلـوهم يعـذبهم الله بأيـديكـم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » (١٤ـ التوبة)

« وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » (٣٦ ـ التوبة).

وإذا كنا لا نملك كـدول وسائل هذا القتال المتكـافىء الآن.. فإننا نملك تلك الـوسائل كأفـراد.. والعجـز سوف يخلق الارهـاب.. ولن تعرف إسرائيل طعم الأمان.. ولا طعم النوم الهنىء بعد اليوم.

وإسرائيل وقعت فى التناقض مع نفسهـا فهى قد خلقت الارهاب فى جميع خصومهـا من حيث أرادت السلام.. وهى قـد حفزتهم إلى

الانتقـــام مــن حيث أرادت أن تحثهم على التنـــازل والتســـــامح والتفاهم.. وهى تمضى فى طريقها للتناقض مع النفس أكثر وأكثر.

وإذا كانت قد كسبت الى صفها حكام العــالم بالمكر وبالمصالح الانتخابيــة وبالــرشاوى لبعض الــوقت فإنها قد استفـزت شعوب العالم إلى نفور وإلى اشمئزاز ســوف يتراكم طول الوقت ثم ينفجر انفجارا غير محسوب.

والشعوب فى الغــرب لها صوت أعلى من صوت شعــوبنا.. ولها فعــالية أكثــر من فعــالية شعــوبنا.. لأن الــديمقــراطية عنــدهم لها حضور أكبر وفعل أكبر.. والمستقبل ســوف يتحرك فى اتجاه مضاد لما ترسم له القيادات الصـهيونية.

ولأن إسرائيل تـــدرك هـــذا كلـــه. فإنها تـــريـــد أن تنتهى من الموضوع كله بسرعة.. وتخطط لنصر سريع يبدل التاريخ لصالحها وينشىء واقعـــا جـديـدا على الأرض يستحيل تغييره.. ولا بـــديل أمـــامهـــا غير هـــذا التسريع للحـــوادث.. لأن امتـــداد الــزمن ليس فى صـــالحهـــا.. ولأنها تستطيع أن تخدع العالم بعض الــوقت ولكنهـــا لاتستطيع أن تخدعه طــول الوقت فـــالمكر السيىء لا يلبث طــويلا حتى يفتضـح.. والـــرائحـــة النتنـــة لأفعـــالها لن تلبـــث حتى تغـــدو إحساسا عاما.

ولهذا أقول إن هذه التمثيلية لن تطول.

وسوف نفيق على حقيقة نسيناها جميعا اسمها.

العـــدو الإســرائيــلى

إن كلمـــة العدو الإسرائيلى اختفت من لغـــة التخاطب الــرسمى لجميع الدول العــربية.. وكـــان هذا الاختفـــاء مثل دفن الرؤوس فى الرمـــال فالعـــدوان مستمر ولم يتـــوقف.. والقنابل تتســـاقط فى هذه اللحظة على رؤوس اللبنانيين فى الجنوب وفرقعات الرصاص تدوى

فى القرى الفلسطينية وركام البيوت المهدومة ينهار وسط سحب الغبار وطوابير اللاجئين وفلول المشردين تجرى مرتاعة هنا وهناك.. وحصار التجويع مضروب على الأخوة.. إنها حرب معلنة.. ولا أحد ينطق بكلمة العدو الإسرائيلى.. ولا تظهر هذه الكلمة فى بيان حكومى رسمى.. وإنما يتكلم الكل عن سلام وهمى ويتصافحون عبر أجهزة الاعلام فى تكلف بغيض.

اختفت كلمة الجهاد من القاموس.

ونفهم أن المخاطرة غير واردة فى ظروف غير متكافئة.. والإقدام على حرب مع إسرائيل بدون استعداد وفى مواجهة تأييد أمريكى وغربى بل وروسى أيضا لهذا العدوان الإسرائيلى هو انتحار لا أحد ينصح به.. ولكن اصطناع الصداقة والتكلف الرسمى لحسن العلاقات هو أيضا شىء مبتذل غير مفهوم. وخداع للنفس مقيت.

والتعمية على الخطر الإسرائيلى أمر غير مطلوب.

وقبول السلام بشروط إسرائيلية لن يصنع سلاما.

كما أن الخضوع والاستسلام واستبعاد المواجهة تماما بحجة التنمية ليس عذرا فطائرة واحدة فى غارة يمكنها أن تدمر البنية الأساسية فى أى عاصمة وتنسف التنمية من أساسها وتعود بالمجتمع مائة سنة إلى الوراء وترفع الديون إلى مئات المليارات.. هكذا فى ساعات.. وقد فعلتها إسرائيل فى لبنان وبدون أن تعلن عليها لبنان حربا.

إن الخطر حقيقى.. والعداوة حقيقية.. وكما ذكرنا من قبل.. هى فى توراة هؤلاء الناس وفى عقائدهم وفى دمائهم.. وإسرائيل دولة يهودية وليست دولة علمانية.. إنها «موعود» التوراة بالنسبة لهؤلاء الناس.

وعلى الحكومات العربية أن تنظر إلى الموضوع نظرة واقعية

فالمواجهة قادمة لامحالة.. ولا نملك أكثر من تأجيلها. ونظلم أنفسنا إذا كذبنا على أنفسنا.. ونضلل شعوبنا إذا أخفينا عنها تلك الأخطار.. والاستعداد لهذا اليوم واجب .

نفاوض.. نعم.. ولكن نستعد ونتسلح.. يد تصافح واليد الأخرى على الزناد كما كان يقول رابين..

ونتكلم عن السلام ونستعد للحرب كما يفعلون. وهو أمر مكلف. ولكن هذا قدرنا.

واذا كان الله قد أراد لنا «ذات الشوكة» و(قرآننا يقول هذا) فلا مهرب.

ومصارحة الشعوب بالحقائق أفضل من تنويمها وتخديرها بالآمال.. ونجوع بعض الشيء ولا نتشرد وتتهدم علينا بيوتنا.

وتطوير الدفاعات الأرضية وصواريخ أرض جو والصواريخ المحمولة على الكتف لمواجهة الطائرات المقاتلة الحديثة المزودة بأجهزة التشويش الراداري هو أمر لابد منه.. ويجب أن نبدأ فيه من اليوم.. بل من الآن.

إن تنويم الشعوب على هدهدة السلام الكاذب غلطة فى حق جيلنا وفى حق الأجيال البريئة القادمة.

مطلوب صحوة عسكرية

ولن نبدأ بقتال أحد.. ولا نريد قتال أحد.. ولكننا بنفس القدر لا نريد أن نؤخذ على غرة.. ولا نقبل باقتحام طائرة معتدية لحدودنا تخرج بعد ذلك من مجالنا الجوى سالمة.

والتسليح سوف يأخذ من لقمتنا.. ولكن هذا أفضل من أن يأخذ الأعداء من أرضنا وبيوتنا وشرفنا ومستقبلنا.

نريد إعلاما أكثر جدية وتليفزيونا أكثر صحوة وصحافة أقوى نبضا فى الدواهى التى تحيط بنا.

إن صداقة شيراك لم تنفع لبنان.. ولبنــان الديمقراطية العلمانية لم تجد عونا من الغرب العلمانى.. وهم جميعا لم يعبأوا بنا.

نحن فى عــالم لا يحترم إلا القوة.. فلنكــن أقويــاء لا مستسلمين ودعاء.

كفى استرخاء..

إن الاسترخاء قتل أرواحنا وأمات قلوبنا.

إن الطائرات المقــاتلة الإسرائيلية تــزأر فى سماء عاصمة عــربية حبيبة.. بينما تمرح فى أجوائنا الطائرات الشراعية..

نقول جميعا.. لا.. لهذا التطبيع.. لا نشترى ولا نتاجر مع قتلة.. ونعود الى قرار المقاطعة.. ونقف معــا كلنا كأصحاب مصير واحد.. ونستعد للأسوأ.

وإن لم نستطع أن نفعل هــذا.. فلنبك على مستقبلنا فقــد حكمنا على أهلنا بالتشرد وعلى أبنــائنا باليتم وعلى نسائنــا بالامتهان وعلى أرضنا بالضياع.

إن الزمن يجرى. والموت أقرب إلى الكل من حبل الوريد..

والصدمات التى نتلقاها كل يوم تحيى الموتى فمابال الأحياء.

ونحن أحياء على ما أظن..

أليس كذلك..؟!!

وهــــذا العبث

وماذا يجرى فى أفغانستــان.. ماذا يجرى على هذا المسرح العبثى العجيب..؟؟!!

المجاهــدون الذين انتصروا على روسيــا وقهروا الآلة العسكــرية الــروسيــة العمــلاقــة وحــرروا بلــدهم.. كيف انقلبــوا على أنفسهم ونكسوا على رؤوسهم.. وأخذوا يوجهــون الرصاص الى صدورهم ويفجرون القنابل فى بيوتهم.

ماذا حدث..؟!!

من الواضح أن المال الأمريكى الذى أنفق على تجميع وتسليح تلك العصابة بدأ ينفق أخيرا وبسخاء لتفريقها وتمزيقها مزقا وشراذم.. والمحركون للأحداث اتجهت نيتهم إلى حرمان الأفغان من ثمار نصرهم وإلى أكثر من ذلك.. تصفيتهم.. وبأيديهم هم.

وكانت المهمة سهلة لأن روح القبيلة والتنازع على الغنائم وشهوة الدنيا غلبت على هؤلاء المجاهدين فأصبحت كل قيادة تقاتل من أجل مصالحها وأطماعها فى الحكم.. وبذلك أصبح من السهل الإيقاع بها جميعا فى مستنقع الصراع على السلطة.. وكان ذلك أفضل بالنسبة للمخرجين وراء الكواليس.. أن تتمزق الراية الإسلامية بأيدى المسلمين أنفسهم.. بأيدى حكمتيار وربانى وسياف وشاه مسعود.. حتى لا تبقى بطولة ولا أبطال.. ولا مزاعم بأن الإسلام كان له فضل فى شىء.. أو أنه يصلح لأى شىء.

وهكذا ارتدت شوكة هؤلاء المقاتلين وبالا عليهم.. ورأيناهم يقاتلون بعضهم بعضا وبنفس الشراسة ورأينا ذلك المسرح العبثى العجيب الذى لا ينفض إلا ليبدأ.

واستمر هذا الاستنزاف سنوات بدون جدوى.. حتى خارت قوى الجميع وبدأ يغلب عليهم صوت العقل.. وبدأوا يتفاوضون.

ولكن صحوة العقل كانت غير مطلوبة.. بل كان المطلوب هو التصفية الكاملة لهذا الدين والمقاتلين فى سبيله.

واتجه المال الأمريكى بمعونة الحليف الباكستانى إلى تبنى فريق يشعل الجنون من جديد هم «الطالبان» وهم طلبة الشريعة الذين يقولون أنهم وحدهم حملة لواء الأصولية الإسلامية.

وكان أمرا عجيبا أن يدخل هذا الجيش من الفقراء الحرب بين يوم وليلة مسلحا بالمدافع والدبابات وأكثر من عشرين طائرة

مقاتلة.. من أين جاءهم ذلك السلاح.. ومن أين تدفقت عليهم تلك الملايين من الدولارات؟

مرة أخرى.. هم المخرجون وراء الكواليس الذين أرادوا أن يشقوا الصف الذى أوشك أن يلتئم.. فأغدقوا المال بلا حساب وألقوا فى آتون المعركة بالأسلحة بلا حدود.

وحاصرت قوات الطالبان كابول وأمطرتها بوابل من النيران.. وامتد الخراب الى كل شارع وسقط قتلى من المدنيين بلا عدد.

وظهرت كتائب من «الطالبان» على شاشات cnn.

وفى حوار مرسوم بعناية.. سأل المذيع أحد المقاتلين ماذا يريد.. فأجاب المقاتل وهو طالب شريعة: نريد العودة إلى الأصولية المحمدية.. نريد أن نعيش كما كان يعيش السلف الصالح.. مدارس البنات تغلق.. لا تعليم للبنات.. والإذاعة لا تذيع سوى القرآن.. وأجهزة التليفزيون تجمع وتدمر (ورأينا فى المشهد أكواما من أجهزة التليفزيون مجموعة لتدميرها).. الموسيقى حرام.. الموسيقى الوحيدة التى يسمح بها الإسلام هى طبول الحرب وما عدا ذلك كفر..

وتكررت إذاعة هذا الحديث فى الـCNN عدة مرات كل يوم وكأنما عثروا على تحفة.

فمن أجل هذا الكلام المذاع على العالم أنفقوا على هؤلاء الشباب الصغار وسلحوهم بالدبابات والطائرات وأطلقوهم ليدمروا بلادهم وليفسدوا فيها..

وعلى لسان هؤلاء الحمقى قالوا كل ما يريدون.. فهذا هو الإسلام.. وهذه هى الأصولية المحمدية.. الجهل والحقد وتدمير الحضارة.

الإسلام ضد العلم.. الإسلام ضد المرأة.. الإسلام ضد الفن.. الإسلام ضد الأمن والأمان.

ولم يدرك المشاهد.. أن وراء هذه المسرحية العبثية إخراجا متقنا وأموالا تغدق وعقولا تخطط للتضليل والتشويه.. وأن ما يحدث فى أفغانستان لم يكن أمرا تلقائيا.. وإنما كان ذكاء شريرا يهدف الى بعيد.

لقد اختاروا كتيبة من الأولاد الجهلة ووضعوا فى أيديها الكلاشنكوف والقنابل والمتفجرات وصنعوا منها إعلانا مجانيا عن الإسلام كما أرادوا أن يظهروه للعالم.

وغاب عن عقول هؤلاء الصغار الذين رفضوا التليفزيون لأنه اختراع الكفرة أنهم قد عانقوا الكلاشنكوف والمورتار رغم أنها هى الأخرى اختراعات الكفرة.. وأنهم ناقضوا أنفسهم.. وماكانوا ليفتوا فيما لايفهمون.

ولكنها مسرحية عبثية تنفق على إخراجها الملايين بل المليارات.

وهم ينفقون بكل هذا السخاء ليؤلبوا العالم على كل ما هو إسلامى.. وليشعلوا المعارك والحروب والنزاعات فى كل مكان ولوقتل فيها الألوف وسالت الدماء.. وحفرت القبور الجماعية.. وانهار اقتصاد الشعوب.

والذى يشك فى كلامى.. عليه أن يجيب على هذا السؤال البسيط:

كيف امتلكت كتائب الطالبان (وهم طلبة الشريعة الفقراء) بين يوم وليلة المدافع والدبابات والطائرات والصواريخ والذخائر؟؟!!

كيف يستمر الفقراء الحفاة ثلاث سنوات فى حرب بالأسلحة المتطورة والدبابات والطائرات.. دون أن يكون هناك ممول يمد هذه النار بالوقود؟

من أين لهم بهذا المدد .. ومن أين لهم بهذا المال؟ إن الدول لاتستطيع بهذه السهولة أن تحصل على مثل تلك الأسلحة.

إنها أموال هائلة تتدفق من خارج أفغانستان لإشعال النار كلما خبت.

روسيا تدفع بالأسلحة لتنتقم لما أصابها من عار الهزيمة على يد الأفغان.. والمال الأمريكى يتدفق.. والمكر الصهيونى الذى يريد أن يكسر شوكة الإسلام فى كل مكان.. والخوف القديم من الإسلام الذى وصل إلى بوابة أوروبا وأسقط أمبراطورية الروم والفرس.. وأحقاد ألف عام.. وصوت نيكسون القادم من القبر.. فرغنا من الشيوعية ولم يبق لنا عدو سوى الإسلام.

ولقد رأينا فى بلدنا أموالا مماثلة تتدفق من الخارج لعمليات تخريب وإرهاب تحت مزاعم مشابهة وبدعوى تنفيذ أحكام الله وشرع الله فى الأرض يتبناها شباب جاهل بدينه لا يعرف من القرآن إلا آية واحدة «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» وفى صيغة أخرى هم الظالمون.. وفى صيغة ثالثة.. هم الفاسقون.. وهى آيات نزلت فى قوم من أهل الكتاب يحرفون الآيات ويقولون على الله ما لم يقل ويكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هو من عند الله.. ومع ذلك هم حملوا تلك الآيات على الكل وراحوا يكفرون بها الكل.. من آمن ومن لم يؤمن.. ونصبوا أنفسهم قضاة على الناس يحكمون بالإعدام عند أى شبهة.. وأكثرهم أولاد ليس عندهم فقه ولا علم ولكن عندهم تكليف بالقتل.. ومن ورائهم عصابات مأجورة.. وهم لا يختلفون عن ذلك الفتى من « الطالبان » الذى يقول إن الموسيقى حرام وإن كل ما عدا طبول الحرب كفر.

وهؤلاء الأولاد لا يعبرون عن الإسلام ولا يعرفونه وإنما يعبرون عن الذين استأجروهم وكلفوهم ومولوهم.. يعبرون عن أعداء الإسلام الحاقدين الذين لايريدون بالإسلام إلا الزوال من الأرض.

والإسلام غير هذا الهراء الذي يرددونه.. وهو دين رحمة ودين

عفـو ودين مغفـرة ودين يـوسع على النـاس ولا يضيق عليهم عيشتهم وهـو دين علم ودين تقـدم ودين حضارة.. والله يقـول فى حديث قدسى.. لو لم تذنبوا لأتيت بمن يذنبون ويستغفرون فأغفر لهم.. ويقول للمذنب.. لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقـراب الأرض مغفرة.. ويقول فى كتابـه الكريم.. «قل يـا عبادى الـذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطـوا من رحمة الله.. إن الله يغفر الذنـوب جميعا».. « فأنيبوا إلى ربكم ».. وهو يفـرح بذلك العبد المنيب الأواب التائب فرحة البدوى بنـاقته الضالة يعثر عليها فى الفلاه..

وهـو دين علم.. أول مـا نزل من آيـاتـه.. «إقرأ» والله يقـول فى قرآنه أنه يرفع الذين أوتوا العلم درجات..

والله عفو كريم يلتمس لنا الحسنة ليمحو بها السيئة فيعفو عن الخاطئـة التى أطعمت قطة وعن المذنب الـذى سقى كلبا.. ويـدخل الذين بكوا من خشيته الى الجنة.

ورحمة الله وسعت كل شـىء.. وهـو يقـول جل من قـائل.. « ورحمتى وسعت كل شىء ».

وذلك هو الإسلام ورب الإسلام.

ولكن للإسلام أعداء يريدون طمس هذا الوجه المضىء وإخفاء هذه المبادىء الـرفيعة وتقديم الإسلام من خلال أيـد مجرمة تقطر دما وعقـول مغلقة تقطر غباء وهم ينفقـون فى سبيل ذلك كل غال وثمين..

مليارات تنفق بسفاهة من أجل هذا الهدف..

وصدق الله العظيم.

« فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون»

(٢٦ ـ الأنفال).

هكذا تقول الآية وكأنما أنزلها الله لأيامنا هذه..

وكأنها تخاطبنا.

«والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

(٢١ ـ يوسف)

وأكثرهم بالفعل لا يعلمون.

٣

انهم يعدون للحرب .. ويتكلمون عن السلام

ما يجب أن نفهمه ونعيه تماما أننـا لسنا مقبلون على سلام مع إسرائيل وإنما نحن مقبلـون على مـواجهـة.. فالـواقع الـذى نـراه يخالف الأحلام التى تغـرقنا فيها شعارات السـلام.. وما يحدث فى إسرائيل يخالف التصريحات التـى تخرج على لسـان سـاستهـا.. وسلام الـرعب الذى تبثـه إسرائيل عن طـريق ترسـانتها النـووية وتحالفاتها الدفاعيـة مع تركيا لحصار المنطقة وانـدفاعها المستمر نحـو المزيـد من التسلح ونبرة الاحتشـاد والتهـديـد والاستنفـار ووضع الاستعداد الذى تتخذه طـول الوقت كأنما تقف على أطراف أصابعها كل هذا يثير فى المواطن المصرى حالة توتر مستمر ورفض لأى ذكر لتطبيع وأى تقبل ومعايشة.

ووضوح هـذه الرؤية فى هـذه المرحلة التاريخيـة مطلوب.. حتى يأتى الفعل السياسى منـاسبا للـواقع.. وليس تطمينا وتهدئة بينما البركان يغلى من تحتنا.

والإعلام السليم والمثمر هو الإعلام الذى يعكس الواقع ولايغرق فى الأحلام ولايغنى مع الأمانى والشعارات.. ولا يرقص فى محافل من الطبل والزمر ومن تحته براميل البارود.

والترويح مقبول ومرغوب والترفيه وارد دائما ولكن ليس لدرجة الاسترخاء والنوم فى العسل.

وأمام ما تأتينا به الأخبار من تهديدات نقلا عن وكالة رويتر.. وما تقوله منظمات يهودية مثل «كاهان شاى» وغيرها فى نشرات متكررة.. حياة المسلمين فى أيدينا أينما كانوا.. ونحن نحذركم أيها المسلمون.. إن حياتكم فى أيدينا مثل حياة الشاه بين يدى الجزار.. وستلقون حتفكم على أيدينا..

كل هذا الحقد والهوس فى خلفية المشهد التفاوضى الذى يتصافح فيه الأطراف ويتبادلون البسمات الباهتة.. بينما الدماء تغطى وجوه الأبرياء فى قانا.. والقنابل تنفجر فى المرافق الحيوية فى قلب بيروت..

هذه الصورة يجب أن تصل الى المواطن بكل مافيها من أبيض وأسود وأضواء وظلال دون تجميل ودون أن نضع لها الأطر التى تخفف منها.

هؤلاء الناس قتلوا رابين لأنه لم يكن عدوانيا بما فيه الكفاية.. وهو الذى اشتهر بتكسير عظام أطفال الحجارة.. وهم أنفسهم الذين قتلوا المصلين الركع السجود فى الحرم الإبراهيمى.. وساعدتهم الحكومة فى إقامة ضريح ومزار للقاتل الجبان باروخ جولد شتين.

إننا نواجه روحا عدوانية يشجعها ويساندها جبروت أمريكى وتأييد أوروبى وعالم يتفرج فى سلبية عجيبة.

ولاتوجد مبررات لأى تخاذل.. فالمواجهة قادمة.. وعلينا أن

نبنى سياساتنــا واقتصادنا وتحالفاتنــا وعلاقاتنا وارتبــاطاتنا على أسوأ تلك الاحتمالات.

وعلينــا أن نستعد.. ولانضع كل احتيــاطياتنــا فى سلة التنميــة.. فغــارات ليلــة واحدة يمكــن أن تعود بتلك التنميــة مــائة سنــة الى الوراء.. وعليها خسائر بمئات المليارات..

علينا أن نخصص جانبا من دخلنا للدفاع

والله موجود وقادر وســوف ينصرنا.. ولكن علينا أولا أن ننصره وننصر أنفسنا..

والله يعلمنــا فى آياتــه أنــه يــؤيد رجــالــه المختاريــن بالأسبــاب وينصرهم بالأسباب .. ويقــول عن ذى القرنين.. ﴿ إنَّا مكنــا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا فأتبع سببا ﴾

(٨٤ ـ الكهف)

وقد جــاءه التمكين بإيتاء الأسباب ولم يأتــه «بكن فيكون» والله قــادر على ذلك.. وقــادر على النصر بالأسبــاب وبــدونها.. ولكن الله يعلمنا ويلفت نظرنا إلى أهمية تحصيل الأسباب.

والغـــرب سبقنـــا بـــالتفـــوق علينـــا فى تحصيل الأسبـــاب.. وما الترسانات النووية والميكــروبية والكيمائية إلا أسباب مكنه الله فيهــا فأسرف فى استخــدامهــا وجــاوز الحد وبلغ غــايــة الفجــور والاستخفاف.. والله يمد لهؤلاء النــاس ليزدادوا إثما.. وليحق عليهم القول وليحق عليهم العقاب.

وتلك سنن يعلمهــا من يقــرأ التــاريخ.. ومن يقــرأ آيــات الله فى الأقوام الغــابرة ﴿ قــل سيروا فى الأرض فانظروا كيــف كان عــاقبة الذين من قبلكم ﴾ .

القــرآن يحضنا على السيــاحة والتجــوال ومشــاهدة آثــار الأمم السابقة.

وهى سياحة غير السياحة الفندقية اللاهية التى نعرفها.. إنها السير والنظر والتأمل واستقراء التاريخ واستحضار العبرة من الأقوام الذين بادوا.. ولماذا بادوا.. وكيف بادوا.

وبين ظهرانينا جبابرة آخرون سوف يلحق بهم نفس المصير وسوف يبيدوا حينما يأتى ميقاتهم وتتراكم مظالمهم وسيغدون آثارا وأطلالا.

فهل يعتبر ظالمو اليوم بما حدث لأشياعهم بالأمس؟!!

لا أظن.. فإن حجاب الغفلة وبهرج الدنيا ينسدل على عقول الجميع والكل يعيش فى غيبوبة الأنا. وصفقة اليوم.. وسهرة هذا المساء.. وكيف أسبق غيرى إلى الغنيمة.. وكيف أزيح الآخر.. وكيف أدوس عليه قبل أن يدوسنى.

ومنجل الموت يحصد الأرواح ولا نلحظ الذين يتساقطون أمامنا فى الطابور. وننسى أن دورنا قادم.

والكل ينسى.. !!

ومشكلة الكل منذ آدم.. أنه ينسى..!!

أنواع أخرى من الحرب

والكثير من الذين يكتبون عن المواجهة القادمة بيننا وبين اسرائيل يستبعدون أن تلجأ إسرائيل إلى الصدام العسكرى وإلى القتال الجهير ويقولون بأنواع أخرى من الحرب.. مثل حرب التفتيت وإثارة الطوائف بعضها على بعض وحرب الإفساد ونشر الفتن وحرب الاقتصاد والإفقار والتجويع.

والمثل الذى يسوقونه هو ما فعلته المخابرات الأمريكية فى أفغانستان.. شراء الذمم وإثارة القبائل بعضها على بعض وضرب القيادات بعضها ببعض.. وتدمير كابول بأيدى أهلها وتفتيت

الجبهة الواحدة إلى عدة جبهات تقاتل بعضها بعضا وتفنى بعضها بعضا.

ونفس الشيء تكرر فى القوميات الإسلامية التى حاولت الاستقلال بعد انهيار الاتحاد السوفيتى.. اذربيجان.. وطاجيكستان.. وكازاخستان.. وغيرها.

ونفس الشيء حدث فى كشمير وفى نيجيريا وفى السودان.

ونفس الشيء حدث فى الصومال.. ومازالوا يدفعون بالميليشيات المسلحة هناك..

ونفس الشيء حدث فى تفتيت يوغوسلافيا وتقسيمها بين الصرب والكروات والمسلمين.

والمسلسل مستمر..

وما يقولونه يحدث الآن بالفعل من حولنا.. وهى حروب أسوأ من الصدام العسكرى الصريح والقتال المعلن والجهير.. وإسرائيل تباشر هذا اللون من الحروب منذ ولدت ومنذ قامت على أرض فلسطين إلى اليوم.

ولاتنفرد الأيدى الإسرائيلية بتلك العمليات القذرة وإنما تشارك فيها بالمال وبالخبرة وبالسلاح وبالجواسيس.. الحكومة الأمريكية بكل ثقلها.. وانجلترا وبعض دول أوروبا.

والمصالح هى الحافز والدافع لهذه العصابة.

والشرق الأوسط بكنوز الطاقة فيه وخاماته وثرواته وشعوبه المتخلفة هو مطمع الكل وهدف الكل.

ولا أظن أننا اختلفنا كثيرا.. فما يحدث حسب كلامهم هو بالفعل مواجهة وليس سلاما.. بل هو أسوأ أنواع المواجهة.. فهو تفتيت وتخريب وإفقار تحت مظلة اسمها الصداقة.. وهو نوع من الحرب الخبيثة التى لا تسمح لنا بالدفاع ولا تفتح لنا بابا إلى خلاص.

وأصحابنا ولاشك يرسمون لنا صورة أكثر خطورة.

وهى صورة أدعى إلى رفض هذا السلام الكاذب.. والتعامل مع ما يحدث بصيغ أخرى أكثر جدية.

إن الطائرات الإسرائيلية تضرب جزيرة حنيش والقوات الأرترية تحتلها بهدف السلام.. وإسرائيل تضرب الجنوب اللبنانى وبيروت بالصواريخ والقنابل لمدة ستة عشر يوماً بهدف إحلال السلام.. وعلى سوريا أن تعلن رغم هذا العدوان أنها متمسكة بالسلام وأنها تسعى إلى السلام.. وعلى كل العواصم العربية أن تجدد تعهدها بالسلام وتؤكد تمسكها بالسلام.. وينشط وارين كريستوفر فى حركة مكوكية كلما حدث عدوان إسرائيلى ليؤكد دور أمريكا فى حفظ السلام وحرص أمريكا على السلام وليأخذ تعهدات من جميع الأطراف بالاستمرار فى السلام والـ.. PEACE PROCESS.

ورغم أن هذه الصورة الكاريكاتورية لا يصدقها طفل فى روضة أطفال فإن علينا أن نصدقها.. وعلى قياداتنا أن تتصرف على وفاقها.. وأن تستمر فيها.

وعلى هذا الأساس تكون أى رصاصة نطلقها لمقاومة الاحتلال هى عدوان وتهديد بحرب شاملة بينما يكون قتلهم للمئات وتشريدهم للألوف ونسفهم للبيوت وتدميرهم للمدن هو إحلال السلام.. وعلينا أن نجدد العهد والبيعة بهذا السلام الكاريكاتورى كل يوم.. حتى لاتنقطع عنا المعونات ولا تتحول عنا البركات.

وقد جاء الوقت لنتوقف ونعيد حساباتنا.. فرغم كل المخاطر فإن أى معونة لاتساوى أن نبيع مستقبلنا.

ولاشك أن علاج الأمر يحتاج إلى استراتيجية مختلفة غير التى نسير فيها ويسير فيها كل عرب المنطقة.

إن الضامن الوحيد لأمن المنطقة هى أمريكا.. وأمريكا ليست

معنا وإنما هى قلبا وقالبا ومصلحة واستراتيجية مع إسرائيل واسرائيل هى الشرطى الأمين الذى تستعمله أمريكا للحفاظ على مصالحها الحيوية وعلى ربط المنطقة بالمشيئة الأمريكية.

والمواجهة الحقيقية ليست مع إسرائيل بل هى للأسف الشديد مع أمريكا والغرب الذى أجمع أمره على تكسيح الدول الإسلامية والنزول بدرك الدول العربية إلى حضيض المعونات والتسول والحاجة المستمرة.. وما إسرائيل إلا مخلب وقفاز وأداة لتحقيق هذا الهدف.

والحل أن تتحرك أوروبا من موقف التبعية المطلقة لأمريكا فى سياسة الشرق الأوسط إلى موقف أكثر عدالة.. وأن تتحرك الصين بثقلها من موقف الصمت والحياد نحو ما يجرى إلى موقف أكثر تعاطفا.. وأن يصبح للدول العربية والإسلامية تكتل وموقف من عملية تهميشها وإذابتها وإفنائها.. وأن تتحول مصر إلى قوة اقتصادية مستغنية عن المعونات وقادرة على المناورة.. وأن يحدث فى الظروف الخارجية ما يساعد على هذا كله..

وعجلة التاريخ دوارة.. وليس فى طبع الزمان أن تدوم القوة لأحد والمهم أن تكون لنا أعين مفتوحة ونعرف متى نتحرك وكيف نتحرك والله موجود وهو لم يكن أبدا مع الظالمين إلا بقدر فتنتهم وامتحانهم وما لانملكه اليوم سوف نملكه غدا.

والصبر مطلوب

والإيمان قبل الصبر

وعلى كل مواطن أن يبدأ بسياسة نفسه إلى الأفضل قبل أن يتوقع أن يتحول كل شىء إلى الأفضل.

هذا هو اجتهادنا للخروج من الأزمة ولكن إرادة الله تتعالى على هذا كله وهو ليس فى حاجة إلى ظروف لأنه هو الذى يصنعها وحينما يريد فعناصر الكون كله مجندة لمشيئته.. ونسأل الله العون.

الـريـاء العظيم

الغـرب صاحب التـاريخ الـدامى فى استعمار القـارة الافريقيـة والقارة الآسيـوية والقارة الأمـريكية.. وصـاحب السجل الأسود فى الحروب والمذابح والمجـازر (إبادة ثـلاثـة ملايين هنـدى أحمر فى أمريكا وخطف ١٥مليون أفريقى وترحيلهم عبر البحر للعمل كعبيد فى الحقـول والمصـانع) وقـام القــراصنـة البريطـانيـون وجيش الاستعمار البريطــانى بخطف مثل هــذا العـدد للبيع فى أســواق النخـاسة وللعمل فى مـزارع اللـوردات فى بريطـانيـا العظمى التى لاتغيب عنها الشمس.

وفى الهند وفيتنام وكمبـوديا كان لفرنسـا وانجلترا سجل دموى آخر.

وفى الصين كـانت هنـاك حــرب الأفيـون التى أعلنتهـا انجلترا لتحطيم المقاومة الصينية بنشر المخدرات بين الشعب الصينى.

مسلسل إجرامى طويل حكاه لنا التاريخ.

واليـوم نفس الأيـدى الملـوثـة رأينـاهـا تـؤازر الصرب بـالمال والسلاح والتـأييد السياسـى فى حرب البوسنـة التى أبادت مـائتى ألف مسلم وشردت ثلاثـة ملايين لاجىء.. والمقابر الجماعيـة باقية لتشهد على ماجرى.

وهذا هو الغرب صاحب حقوق الإنسان وصاحب عصر النهضة وصــاحب عصر التنويـر.. يطالعنـا فى هـذه الأيام بأخبـار طريفـة ومواقف عجيبة.. تثير الابتسام.

إصـدار حكم بغرامـة مـائة ألف مـارك على مواطن لأنـه رفس كلبا.. ياســلام.. وطائرة أمريكية تقطع رحلتها وتعـود إلى نيويورك لأن هناك قطـة منسية فى قاعات شحن البضـائع تعانى من البرد.. ياعينى على العواطف الرقيقة!!

وحملة شـديدة على استعمال حشرات حيـة وفئران وسحـالى فى تجارب علميـة باعتبـارها قسـوة ووحشيـة لاتليق.. ياحبـة قلبى.. فعلا كلام ما يصحش..

وفى نفس الـوقت وفى نفـس اللحظـة تضرب إسرائيل بقنـابل الطائرات الـلاجئين الهاربين فى قانـا الذين يحتمـون فى مخيم الأمم المتحـدة ويقف العالم كلـه معها.. ويتكلم جـون ميجور وكلنتـون وكول ليبرروا لإسرائيل ما فعلت..

ونحن وحـوش لأننـا نأكل لحوم الأضـاحى فى العيـد ونـذبح الدجـاج والأرانب هكذا تقول الـرقيقة.. بريجيت بـاردو.. وجماعات حقوق الحيوان.

يا ألله.. ياله.. من رياء عظيم.

٤

لقد جاوز الظالمون المدى

مضى ياسر عرفات الى أبعد مدى فى إرضاء أمريكا وإسرائيل باتهامه إيران فى بيان صريح بأنها هى التى أصدرت الأمر بتنفيذ العمليات الانتحارية الأخيرة.. وهو كلام يثير أكثر من سؤال.. فإيران لا تملك إصدار ا لأمر بالانتحار الى أربعة من الشباب الفلسطينى فيمضى الأربعة إلى قتل أنفسهم هكذا فى بساطة بمجرد الأمر الإيرانى كما لو كانت الهوية الفلسطينية قد فقدت وأصبحت لا وجود لها.. كما أن عرفات لايملك دليلا على تلك المزاعم بعد أن أصبح الأربعة فى رحاب الله وقد تمزقوا إلى شظايا..

والواضح أنها رغبة أمريكية يرددها عرفات.. فقد أصبحت السياسة الأمريكية الآن هى حصار إيران وليبيا وسوريا والعراق بالاتهامات ودمغ كل الجماعات الإسلامية بالإرهاب وتعليق تهمة الإرهاب فى رقبة كل ما هو إسلامى.. وعناوين الصحف الأمريكية

ومانشتات افتتاحياتها تشهد بذلك.. وتصريحات رجال الكونجرس ترددها.

وهى خدمة تقدمها أمريكا لإسرائيل إضافة الى أكداس الأسلحة ومليارات الدولارات والتأييد المعنوى الجهير بالحق وبالباطل والفيتو السريع المبادر لإجهاض أى اعتراض.

ولا غرابة فى أن تدافع أمريكا عن إسرائيل فإسرائيل ولاية أمريكية تعمل للمصالح الأمريكية فى المنطقة ولكن أن يسبح عرفات فى هذه المياه الإسرائيلية ويتطوع باتهام دولة إسلامية لصالح الطرف الإسرائيلى الأمريكى.. هى مبالغة.. لن يكسب بها ود اليهود ولا تصفيق العرب.. وانما سوف يخسر نفسه.

والسياسة الصهيونية سياسة بالغة الدهاء وهى تتقن فن مسخ البطولات ومحو تاريخ الرجال.

وسوف يوافقنى عرفات على أن هناك كلاماً كثيرا عن السلام وطبول تدق بالسلام ورايات ترفع للسلام ولكن لايوجد سلام.. وانما قنابل تنزل على الجنوب اللبنانى واستيلاء على الأرض وبناء للمستوطنات واغتصاب للقدس ونسف للبيوت وشن للغارات على الجيران وحرث للأرض الفلسطينية وتمهيدها لمواجهة غير متكافئة مع أسلحة إسرائيلية ساحقة ماحقة فى مواجهة فلسطينية مفككة تضرب بعضها بعضا.

ورغم كل الكلام الناعم والوعود الصابونية الملمس فالمستقبل دموى كما كان الماضى دمويا..

ولا يقول بغير ذلك إلا رجل ساذج اختار أن يطمئن نفسه.

والحقيقة التى لاشك فيها ان الاسلام نفسه هو العقبة الحقيقية أمام الهيمنة الاسرائيلية فى المنطقة.. واسرائيل تحاول أن تلتف حول القضية.. فتحاول أن تصبغ المنطقة بالصبغة العلمانية

الانحــلاليـــة وتحاول أن تلتف على الاســـلام بتفكيك المسلمين أنفسهم.. تفكيك وحدتهم وانتـزاع جذورهم واتهام تراثهم ومغـالبة ثقـافتهم بثقـافـات أخرى منـافســة.. وكل هــذا يحدث الآن تحت مسميـات بريئـة.. مثل ثقـافة السـلام وفنـون السلام واقتصـاد السلام وحوار السلام.

والتطبيع هو أداتها الوحيدة ووسيلتها.

وفى ســوريا ومصر والمملكـة العربيـة السعـودية لا أحـد يريـد تطبيعا مع إسرائيل ولبنان بعـد ست عشرة سنة من الحرب الأهلية (التى أدرك اللبنـانيون أن اسرائيل كـانت وراءها) لا أحـد فى لبنان يريد تطبيعا مع اسرائيل.. ولا أحد يطمئن الى اسرائيل.

والكنيسة المصرية ضد ما تصنعه اسرائيل فى القدس..

والشعـوب فى واد.. والحكــومـات فى واد.. وأكثـر مـــانشتـات الصحف مجرد مهدئات.

والسلام الذى يتكلم عنه الســاسة هو مجرد قشرة تخفى تحتها رفضا حقيقيا للتغلغل الاسرائيلى فى المنطقة..

والمشكلـة أن القهـر وحده لن يستطيع أن يغير قلـوب النـاس.. واسرائيل لن تستطيع الـدخول الى قلـوب الناس بقـرار وزارى من أصــدقائهـا.. والحرب حتى الحرب المنتصرة لن تستطيع أن تبـدل الكراهية حبا ولا الرفض قبولا.. ولا توجد حلول سـحرية فى الأفق.

ورغم الترسـانـة الـذريـة والتسليح الأمـريكى والمليـارات التى تتـدفق من المراكز الصهيـونيـة فاسرائيل تحلم بـا لمستحيل.. وإذا هيمنت على الأرض لن تستطيع الهيمنة على الناس وإذا قتلت رجلا سوف يولد عشرة يحملون ثأره.

واسرائيل سوف تخسر معركتها مع الزمن..

ولقد قال القرآن وقالت التوراة وقالت الأناجيل.. إن العلو الاسرائيلى سوف ينتهى الى دمار.. وهو سطر واحد.. ولكن فيه اختصار للتاريخ القادم كله.

وليس كلام الله ككلام الصحف.. فلا تبديل لكلمات الله.. وهناك ألف مليون يؤمنون بتلك الكلمات.. وعلى اسرائيل أن تقتلع إيمانهم قبل أن يهدأ لها بال.

وأعتقد أنها مهمة صعبة.

ولو قدر لها أن تقتلع ايمان الكل وبقى واحد.. فسوف يقيم الله الناموس على يديه.. فاسرائيل قامت لتزول.. وهذا قدرها..

وكل ما عدا ذلك حراثة فى بحر.

ضيافة

طلعت الشمس وتبسم النوار وتفتحت البراعم وسالت حمرة الورد على خدود البستان وزقزقت العصافير ورقصت النسائم الحريرية مع أعواد الأغصان وجاء صباح جديد وليد.. ورغم هذه الاحتفالية الجميلة المبهجة فالأرض تسيل دما.

لماذا يعتدى الواحد منا على أرض الآخر.. لماذا يغتصب ما فى يده.. لماذا يقتل الناس بعضهم بعضا..

إن الأرض أرض الله والخيرات خيراته.. والخلق كلهم فى ضيافة الكريم الذى خلقهم لا يملك أحد منهم شيئا ولا يستطيع أحد أن يدعى أنه مالك لأى شىء.

والذين وضعوا أيديهم على قيراط أرض سوف يتخلون عنه ويرحلون رغم أنوفهم.. فلامالك هنا سوى الله.. وكل الخلق ضيوف الرحمن لبرهة تطول أو تقصر.. أتى بهم خالقهم عرايا

ويعـودون إليـه عـرايا لا يملـكون شـيئا إلا عملهم.

إنها ضيافة وليست إقامة.. ودار عبور وليست دار خلود.

مجرد كوبـرى والكل مسافـر مرتحل فى حـالة مـرور وعبور.. مجرد عبور.

والمسافر لايحتاج الا متاعا قليلا بسيطا هو متاع المسافر.. وهو يزرع خيمـة أو يبنى كوخـا مؤقتـا ويستعمل كراسى ومـوائد من القش.

ولكن الكل الآن يبنى عمارات وأبـراجا ونـاطحات سحـاب ويمد فى الأرض جـذور الخرسانـة والحديد ويلطخ الحدائق بـالأسمنت.. ويسكن فيها تياها فرحا بوهم البقاء الأزلى والخلود فى الأرض.

وهـو ينفق الملايين على الـزخرفـة والتـوشية بـالـذهب ويصنع معـارج الرخـام ويرفع أعمـدة المرمـر ثم يقتل جاره ليستـولى على أرضـه وأملاكـه ليتـوسع ويسرق كل مـا تمتد اليـه يـده ويختلس ويبتز ويـزور ويزيف ليضـاعف أمـلاكه.. وينسى أنها ضيـافة.. وليست إقامة.. وأنـه مسافر ومرتحل.. وينسى أنـه حمل جثة أبيه وجده إلى القبر من قبل وأنه لاحق بهما لامحالة.. وأنه لايوجد بشر واحد خلد فى الأرض.

إنها حالة من السفاهة العامة والغفلة العامة.

وصدق الله العظيم إذ يقول:

«ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما»

النسيـان والغفلـة وضعف العزم هـى الصفات العـامـة فى كل البشر وبنـو اسرائيل أكثـر السـلالات البشريـة غفلـة ونسيـانـا وجحـودا وتكبرا وحقـدا وعنـادا.. وحينما أسكنهم الله فى أرض الميعاد ظنـوا أنها لهم حقا أبـديا وملكيـة أزلية.. فعصـوا وأفسدوا

وطغـــوا فأخـــرجهـم الله من جنتهم ولعنهم وشتتهـم وقطعهم فى الأرض أمما. وضرب عليهم الذلـة والمسكنة «الا بحبل من الله وحبل من الناس».

وبهذا الحبل من الله ومن النـاس (أمـريكا وحلفـائهـا) تطاولـوا وطغوا وتكبروا وعادوا الى إفسادهم وسيعاود الله تأديبهم وطردهم تـذكيرا لهم ولغيرهم.. بأن الحيـاة فى الأرض أرادهـا الله ضيـافـة وعبورا وسفرا وترحالا وليس بقاء وتملكا وتحكما فى رقاب العباد.

إنها ضيافة وحسب..

ونحن جميعـا فى قطار سياحـى ونزهة حظنـا الوحيـد هى تلك النظرة والفـرجة من نوافذ عيـوننا ومن عربات القطـار المسرع بنا إلى الموت.. نتفرج على الدنيـا ونعتبر ونُمتحن ونُبتلى الى يوم حساب لامفر منه.

والـذين غــرهم من بنى اسرائيل وضع اليــد على أمـلاك الغير والعزة بـالتأييـد الأمريكى الـذى فازوا به بـالتحايـل على الناخبين والتسلل الى مقاعد صنع القرار فى الحكـومات المتوالية.. لن تنفعهم تلك العـزة ولا ذلك التأييـد فلـن يـدوم لهم شىء فى تلك العجلـة الـدوارة التى اسمهـا الـدنيـا.. التى يـداولها الله بين النـاس والتى لايدوم فيها العز لأحد.

والله يخفى ليهـود اليوم نهايـة لن تقل رعبـا عن يهود الأمس.. ويقول لهم

«وإن عــدتم عـدنـــا وجعلنـــا جهنم للكـافــرين حصيرا» (٨ ـ الإسراء) .

إن عـدتم إلى الله والى الملـة الحسنى عـدنــا عن تعـذيبكم وعن تشريدكم.. وإن عـدتم إلى العدوان عدنـا بكم إلى التشريد والهوان.. والرد تســارع به الطائرات الاسرائيلية والمدفعيـة الثقيلة التى تلقى

بالمئات من قذائفها على الجنوب اللبناني.. كعربون تجدد به عهود السلام والوئام.

وهكذا كانت دائما عهودهم ومواثيقهم.

العمــاليق

نحن الآن في عصر العملقة والعماليق.

العملقة في العلم التي أدت إلى ظهور دول تملك القنابل الذرية والهيدروجينية التي تستطيع أن تمحو بها الحياة وتفني الشعوب وتدمر البيئة.. وفي الجانب الآخر دول لا تملك القوت ولا تجد المياه النظيفة.. وفي تلك العملقة الغاشمة لون من الإرهاب الدولي يتضاءل أمامه أي إرهاب من أي تنظيمات أو أفراد أو جماعات.

وهؤلاء الذين امتلكوا تلك الوسائل لا يعلمون ان الله هو الذي ملكهم.. وانه هو الذي آتاهم العلم.. وهم مثل قارون الذي قال عن ثرائه.. انما أوتيته على علم عندي .. فخسف الله به وبخزائنه الأرض.

وكان هذا شأن الله أيضا في تعامله مع عماليق الماضي.. قوم ثمود الذين كانوا ينحتون من الجبال بيوتا فارهين.. وقوم عاد الذين قال لهم ربهم.

«وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين» (١٢٩ ـ ١٣٠ ـ الشعراء) .

وقال لهم محذرا:

«واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون» (١٣٢ ـ الشعراء) .

فما وسائل القوة وما العلم الذي حصلوه إلا بمدد منه وحده سبحانه الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

وقال فى سورة الزخرف:

«فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين»

(٨ ـ الزخرف) .

« وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا»

(٣٦ - ق) .

إن الإهلاك والاستئصال هو سنة الله فى مثل هؤلاء.. الذين مضوا والذين غبروا.. والذين يتألهون بقوتهم مثل الدول التى بين ظهرانينا.. (وروسيا وما جرى عليها مثال قريب).

وما كلام الله إلا لعموم التذكرة فهو الذى يعطى وهو الذى يسلب لإعادة التوازن إذا اختلت المعايير وتجبر الأقوياء على الضعفاء وتألهوا على الناس بوسائلهم.

ونسمع الآن أن اسرائيل تقوم بتمشيط القرى الفلسطينية وكأنما ترى بعض ساكنيها كصنوف من الحشرات وصنوف من القمل يلزم فرزها من حين لآخر.. ثم نراها تزرع فى حدودنا ترسانتها النووية.. وتبادر بتدمير أى محاولة لبحوث نووية حولها.. وتستخدم الآلة الأمريكية السياسية فى تهديد الصين وكوريا والعراق وليبيا.. وأى مكان فيه مظنة نشأة قوة نووية.. ليكون لها وحدها العزة والجبروت.. ولتكون الديناصور الوحيد فى المنطقة.

ومن قبل ذلك أهلك الله الديناصورات جميعها ومحاها من الأرض فى ضربة واحدة ليقول بذلك أنه لا استثناءات فى السنن الكونية وأن ما يجرى فى عالم الإنسان يجرى أيضا فى عالم الحيوان وفى سائر الخلائق.

وفى الأماكن الاستوائية التى يتكاثر فيها البعوض بشكل وبائى

يسلط عليها ربنـا أنواعـا من الحشرات المضيئة تجتـذبها وتأكلها.. ونـرى أمثال ذلك فى كل بيئـة طبيعيـة حتى فى المزارع الميكروبيـة والبكتيرية وفى عـالم الدقائق الميكـروسكوبيـة.. فقد خلق الله الكل ليعيش الكل وليس لينفرد جنس بالحياة دون الآخرين.

فهو الخالق الحافظ المدافع عن كل مخلوقاته.

وإن ربك لبالمرصاد.

وانتظروا.. إنى معكم رقيب.

٥

لا لهذا السلام

بعد العدوان الإسرائيلى الفاجر على شعب لبنان لن تستطيع حكومة أن تقنع شعبها بهذا السلام الإسرائيلى.. ولن تستعمل سلطاتها لفرض مثل هذا السلام على شعبها حرصا على مصداقيتها.

إن قنابل إسرائيل التى دمرت البنية الأساسية وقتلت الأطفال والنساء والشيوخ فى بيروت كانت نقطة الفراق النهائى ونقطة اللاعودة.

لا عودة إلى الاتفاقات الهلامية والكلمات الملتوية المطاطة.

إن التوقيع على أى اتفاق اسرائيلى هو توقيع على فقدان الأمن وفقدان الأرض وفقدان الحياة.

وما تريده الشعوب الآن هو الحماية من غدر إسرائيل وليس الاتفاق معها.

ما تطلبه الشعوب من حكوماتها الآن هو أن تحميها بالسلاح

الكاف والنظـام الدفـاعى الكاف والإعـداد العسكرى الكـاف والقوة السياسيـة الكافيـة.. وأهون عليهـا أن تعطى من لقمتهـا لجيشـها ودفاعها من أن تعطى رقبتها لأعدائها.

إن خضوع مـائة مليون لخمسة ملايين إسرائيلى مـذلة لا مبرر لها.

والاستمـرار فى هـذا السـلام الكاذب هـو خـداع للنفس وخـداع للشعوب وتنازل عن الكرامة بلا جدوى وبلا عائد وبلا ضرورة.

وليس فى كـلامنـا إعـلان للحـرب على أحـد وانما مجرد وقفـة مخلصة مع النفس وإعـادة للحسابات ونظرة محايـدة للاحتمالات والإمكانات وإلى السـالب والموجب فى مواقفنا وإلى التكييف الأدق لما يواجهنا.

نحن نريد أمنا ولا نريد عدوانا.

نريد أمنا يعتمد على قوانا الذاتية وليس على وعود إسرائيلية.

إن لبنان حينما اعتدى عليها لم يتحـرك العالم الا بعد أن أفرغت إسرائيل تـرسانـاتها من المتفجـرات على مـرافقها وبعـد أن نسفت القنابل بنيتهـا الأساسية ودمـرت محطات النور والميـاه والمجارى وأحالت مدنها الى ظلام..

وحينما جاء القـرار بوقف إطلاق النـار جاء بعد أوانـه وبفارق مليارات من الليرات من الخسائر ومئـات من القتلى.. وخراب ودمار ودماء..

وهيهات لـدماء سفكت أن تعود إلى عـروق أصحابها من جـديد بقرار من الأمم المتحدة.

حتى إسعاف الأمم المتحدة جاء فى الـوقت الذى أرادته اسرائيل.. وليس فى الـوقت الـذى يتطلبـه الموقف.. حتى الاسعـاف كـان أكذوبة.. وكان إغلاقا للجرح على صديد.

نعن نعيش فى عـالم متـآمـر.. وليس أمامنـا الا أن نعتمـد على أنفسنا فى حماية أنفسنا.

وصدق الله العظيم.. « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**»
أعدوا واستعدوا وتأهبوا وانشطوا واحتشدوا ورابطوا وصابروا واحتسبوا.

والله لن يخذلكم أبدا..

ووعد الله ليس كوعود الكونجرس فالله هو الوحيد القادر على إنفاذ مايقول.. لأنه وحده الذى يملك الزمان والمكان ورقاب الكل مؤمنين وكفرة. وباسمه سبحانه يدور الفلك.. وبمدد الرحمة من أنفاسه نلتقط أنفاسنا وتستمر حياتنا إذا شاء وتتوقف إذا شاء.

والعلمانيون يبتسمون حينما نتكلم بهذه اللغة الواثقة فى غيبيات ويسخرون من معلومات قديمة أسطورية لم تعد تجدى مع المدفع والذرة وقد نسوا أن الذرة هى الأخرى من صنعه وأن الكتروناتها الطوافة حول كعبة النواة تدور هى الأخرى فى نفس الاتجاه الذى نطوف به حول كعبة ابراهيم (عكس عقارب الساعة) وفى نفس الاتجاه تدور الكواكب والأقمار حول شموسها فى الكون الكبير الا ماتصادم منها وخرج عن مداره. وأن كل ما فى الكون يشهد بالوحدانية فى القوانين والنسق والنظام لأنها جميعا خرجت من واحد أحد خلقها جميعا.

ولا نجادل. فسوف يجيب عنا التاريخ وتتكلم الأحداث.

ارفضوا الذل والتبعية يا إخوة.. ولا تخافوا.. فإنهم لايملكون الا أسلحة تقتل.. والموت قادم بهم وبدونهم ولن يموت أحد قبل أجله.. ولايملك أعداؤنا أن يستقدموا الا ما قدم الله ولا أن يستأخروا إلا ماأخر.. وهم جنود غضبه وسخطه دون أن يعلموا.. وهم لايملكون أن يغيروا من كتابه شيئا.. وهم الأخسرون مهما فعلوا.

ولن يضيع الله عبدا آمن به أبدا.

قاموس جديد للألفاظ

والسياسة الجديدة لإسرائيل هى اللعب بالألفاظ وقلب معانيها.. نوع من الدعارة بالكلمات والزنا بالألفاظ.. فهى تقول انها تسعى إلى السلام ولكن ما تفعله فى لبنان هو الحرب.. والحرب النظامية.. ضرب العاصمة بيروت بالطائرات وتدمير البنية الأساسية وتفجير محطات النور والماء والمجارى.. وهى تسمى هذا الذى تفعله تعزيزا للسلام وضربا للارهاب الذى يمارسه رجال حزب الله.. ولكن ما يحدث فى الجنوب اللبنانى ليس إرهابا بل مقاومة للاحتلال الاسرائيلى وهو أمر مشروع.. ثم انها لا تضرب حزب الله بل تعلن الحرب على لبنان نفسها.. وهذا أشبه بأن تعلن الحرب على مصر لأن هناك تفجيرا فى فندق الملك داود فى إسرائيل قامت به جماعة الجهاد الاسلامية.. وهذه الجماعة مقرها مصر مثلا.. فلتعزز السلام إذن.. تضرب القاهرة بالقنابل وتنسف السد العالى وتدمر محطات القوى والماء والمجارى والأنفاق ومصانع الحديد والصلب.. الخ.. نوع جديد من السلام اسمه السلام الاسرائيلى.. لقد قلبوا تماما معنى الكلمة الى ضدها.

والحل الوحيد للأمن الاسرائيلى.. أن تكون كل الزعامات فى المنطقة زعامات مستأنسة مثل قابوس.. تهلل.. وتوقع.. وتتبادل الهدايا والقبلات مع العزيزة إسرائيل.. ولا تحاول أن تفكر فى معانى الكلمات ولا فيما وراء الاتفاقات.

ولأننا لم نبلغ بعد هذا القدر من الاستئناس.. ولأننا فهمنا «الأجرومية» الجديدة التى تتكلم بها اسرائيل وعرفنا قاموسها.. فإننا نقول بملء الفم.. لا. وألف لا.. لهذا السلام.. ولايعنى هذا أننا قد اخترنا الحرب أو أننا رفضنا السلام.. فالسلام مازال هو الحل الحقيقى والوحيد لمشاكل المنطقة.. والسلام هو الأمل ولكن ليس السلام «المقلوب» الذى يدعو إليه بيريز.

رمـــوز المقـاومة

رأيت ياسر عرفـات يتبادل الابتسامات مع بيريـز ويشكر هذا وذاك على مليارات الـدولارات القادمة فى الطـريق لإنعاش الـدولة الفلسطينية ورأيته فى التليفزيـونات الأوروبية مع بيوت المال ومع الوسطـاء يشكو من أن المليـارات التى وعد بها لم يحصـل منها الا على خمسة وعشريـن مليون دولار ذهبت أجـورا لرجـال الشرطة.. وأشفقت على الرجل.. ذلك البطل القديم الذى كان يحمل المدفع وقد انتهى بـه الحال إلى ذلك الـرجل الـوديع المسالم الـذى يحبـو على الشوك من أجل بضعة دولارات يلتقطها مـن أعدائه الصهاينة ومن أجل دولة على الورق نصفها فى السجون والنصف الآخر يعيش فى جيوب محاصرة بالمستـوطنات ويعانى المهانـة والتجويع من هؤلاء الأعـداء الذين يـدعون أنهم أصـدقاء.. وأيقنت أن رمـوز المقاومـة الفلســطينية لم يبق منـــها إلا رايـة حمـاس المرفـوعـة فى وجـه الظلم.. وأن حماس هى الـوجـه الآخـر الضرورى لحيـاة المنظمـة ولبقائها.

لماذا يدفعـوننا دفعا إلى معـاداة ايران واتهامهـا وإعلان الحرب عليها.

ولماذا يريـدون ألا يكون للإسلام صـــوت ولا إرادة ولا قوة على دفع العدوان.. وإذا انطلقت رصـاصة فى أرض محتلة من أيد تـريد أن تسترد أرضهـا وحريتهـا. قـالوا هـو إرهـاب وحـرضوا العـالم ومـلأوا الدنيـا بالصراخ.. وإذا نسفـوا هم البيوت وقتلـوا الأبريـاء بـدون جـريـرة وانتزعـوا اللقمـة من فم الأطفـال.. مـاذا يسمـون فعلهم.. هل تعـرفون فى القـاموس كلمـة تعبر عن هذا الـذى تفعله اسرائيل؟!! أنـا لا أجد كلمـة لهذا الفحش.. وأسوأ منـه.. أن نسكت عليه.. وأن يسكت العالم فلا يرتفع فيـه صوت ينادى بالعدل.. وأن

تموت المقاومة وتتحـول إلى مساومة وتسول للقـروض والمعونات اسمه الـ Peace Process .

وحينما تصبح الكرامة قابلة للبيع والأرض قابلة للبيع والأوطان قابلة للبيع فماذا يبقى للمواطن.

ومـا يبكى ومــا يضحك أن الثمن المعـروض لكـل هـذا الهوان مسروق أصلا من لقمتنـا وبترولنا. ومعظم بترول العـرب المخزون الآن فى الأرض أصبح مرتهنـا بفوائد لقـروض قديمـة تضاعفت مع الوقت سنة بعد سنة حتى أصبح البعض منا لا يملك شيئا.

لقد كانت للعبيد فى الماضى ثورة أيام سبارتاكوس.

واليوم هم جاءوا بإسرائيل الى المنطقـة كى لا يخرج منها صوت احتجاج الى آخـر الدهـر.. وقد زودوهـا بترسانـة ذرية لتهـدد من يخطر له أن يعصى أو يفتح فمه .

هذا تصريفهم الذكى جدا.

ولكن لله تصريف آخر.

والله من ورائهم محيط.

الوحدة العربية المستعصية

إذا كان جمع كل العـرب أمرا مستحيـلا.. وإذا كان هنـاك قطاع عـربى قـد اختـار الارتبـاط بـاسرائيل مثل الأردن وقطـر وعمان وتونس والمغـرب.. فإن هذا لايعنى أن ننفض أيـدينا من الـوحدة.. فهناك دول المواجهـة وهى المجموعة الأهـم.. هناك سوريـا ولبنان ومصر والسعودية.. وهى الدول الأعلى صوتـا والأقوى فعالية وهى يمكنها أن تمثل جبهة الصمود الفاعلة وهناك ليبيا بموقفها المبدئى الصلب ضد أمـريكا واسرائيل.. وهـذه الوحـدة المصغرة أنفع بكثير من وحدة كبرى مترهلة تضرب بعضها بعضا.

إن دولـة الأردن التى اختارت الأمـان الاسرائيلى وقطـر ومسقط

اللتين انكفأتـا على وجهيهما من كثرة الهرولـة لن تضيفا شيئـا الى الحضور العـربى لأنه لا يوجد لهما حضـور عربى يذكـر.. وغياب صدام أفضل من حضوره.. وما لا يتيسر كله لا يترك كله.. ويجب أن نفكـر بمرونـة وبنظـرة واقعية الى هـذه الخريطـة التى تمزقت لنفعل الممكن والعـاجل لجمـع شملهـا ولا ننتظـر المستحيل.. فإن الأحـداث التى تتداعى بسرعـة والأخطـار التى تتلاحق تتطلب منـا موقفا فاعلا وتتطلب جبهة متحدة تتكلم بصوت واحد..

ووجـود بعض الخلافـات لا يمنـع من وجـود رأى متحـد فالخلافـات تذوب دائما أمام الخطر المشترك.. والخطـر ليس خطرا اسرائيليـا فقط بل أصبح الآن خطـرا أمـريكيـا بنفس الـدرجـة.. فأمـريكـا تـدفع وتشجع وتسلح وتحمى هـذا الظلم الاسرائيلى الوحشى.

والخلافـات فى الـرأى بين الاخـوة لا تصنع التمـزق الا عنـد المتخلفين الذين لا يـدركون لغـة المصالح المشتركـة.. ولقد اختلف الروس البلاشفة مع الأمريكـان خلاف حياة وموت ولكنهم اتحدوا أمام الخطر النازى فى الحرب العالمية الثانية وحاربوا هتلر جنبا الى جنب وانتصروا عليه.. والنازية الاسرائيلية اليوم فى حاجة الى نفس الوقفـة والظلم الأمريكى فى حاجـة الى نفس التكتل ونفس الردع.. والخطر على الحضارة يأتى من جانـب الصهيونية وليس من جانب الإسلام.

ويجب أن يكـون مفهومـا أن أهازيج السـلام وأغانى السـلام التى أرادوا تخديـرنا بها لم تعـد تنفع وأننا صحـونا مفـزعين على القنابـل التى تلقيها الطـائرات الاسرائيلية على بيروت بحجـة إبادة حزب الله.. فلـم نر القنابـل تقتل الا اللبنانيين ولم نـرها تـدمر إلا البنية الأساسية اللبنانية ولم نـرها تحرق سوى الأرض اللبنانية..

وهم كذابـون فجرة يعلمون مـاذا ستفعل قنابلهم.. وتـدمير لبنان كان هدفهم.. ومـاكان حزب الله إلا ذريعة.. وإذا كـانت الانتخابات الاسرائيليـة هى الهدف كما يقـول البعض.. فهى عـذر أقبح من الـذنب.. ومعنـاها أن النـاخب الاسرائيلى يـريـد قتلة وسفـاحين فى كـراسى الحكم.. والمعنى البـاطن فى هـذا الاختيـار أنهم يجهـزون لحرب ويتأهبون لمجـزرة.. فكيف نرى كل هـذا ولا نستعد.. وكيف نشهد كل هذا الاستفزاز ولا نتحـرك.. إنها جميعها نذر ومحاذير ودواه سوف تـوحدنـا جميعا رغم أنوفنـا.. ربما لن تكون الـوحدة شاملة.. ولكنها سوف تجمع دول المواجهة وهذا يكفينا.

إن الصدور التى توجه اليها السهـام ستكون أكثر الكل حماسا وأكثـر الكل فـداء وإخـلاصـا وهــى الصفـات المطلـوبـة لجبهـة المواجهة.. ولا تهمنا سلبية الذين يتخلفون.

لقد كسرت مصر وسـوريا الهجمـة الصليبية كما ردتـا التتار بدون جامعة عربية وبدون توحد عربى شامل..

والله يفعل ما يشاء حينما يشاء بما يشاء.

أقول هذا لليائسين والقانطين والمتشائمين.

وللذين يخافون بـأس أمريكا وبأس القنابل الـذرية.. أقول لهم أين ذهب بأس روسيا وكانت تحمل على ظهـرها أضعاف ما تحمل إسرائيل من قنـابل ذريـة وأضعـاف ما تحمل من رؤوس نـوويـة وصواريخ مـوجهة.. إنها الآن فى الحضيض وهى تتسول المعـونات وتـرسانـاتها النـووية لعنـة عليهـا لا تعرف كيف تتخلص منهـا ومفاعلاتها القديمة عبء مالى رهيب يحتاج إلى مليارات لإصلاحها لا تعرف من أين تأتى بها.

إنها لم تحصد نصرا.. بل حصدت فقرا وهـزيمة.. بينما خرجت

من حضيض الفقـر دول صغيرة إسـلامية مثـل ماليـزيـا. وبلغت ذروة التكنولوجيا.. بالجهد والاجتهاد.

وليس فى سنغافورة خامـات ولا معادن ولا فحم ولا حتى مياه.. وهى ماهى فى ثرائها وتقدمها.. والحاضر الذى نعيشه كدول عربية رغم تعاسته وظـلامه لا ينفى ولا يمنع من تحول فى المستقبل يغير كل شـيء.

أقول هذا حتى لا يتواكل الشبـاب وينتظر المعجزات بل ليشحذ عزائمه ويشمر سواعـده.. فشعار كل مسلم.. إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مـا بأنفسـهم.. وهى السنّـة الإلهيـة الفـاعلـة بطـول التاريخ.

إن الامـام يقول لنـا فى كل صـلاة.. استـووا.. وكل المسلمين من أقاصى الأرض يتـوجهون الى قبلـة واحدة.. والملايين يـركعون فى الكعبـة فى لحظــة واحـدة ويسجـدون فى لحظــة واحـدة.. وروح الجماعة هى رائد المسلم.

ولن تطول الفرقة.

وشكرا لإسرائيل فعدوانها الفاجر سـوف يجمعنا.. وقنابلها هى الغيث الذى سوف تتفتح عليه عقولنـا وتصحو ضمائرنا بعد طول موات.

٦

الولد المطيع

السيطـرة والتحكم فى مقـدرات العـالم هـو هـدف الصـهيـونيـة الحقيقى وليس صحيحا أن هـدف الصهيونية هو إنقـاذ اليهود من الشتـات أو جمعهم فى وطن وإنما الهدف هـــو التسلل إلى مقـاعـد الصدارة وقيـادة العالم بـالخداع والرشـوة والغوايـة وما حكـايات مـوسى والتـوراة والجنس المختـار إلا وسـائل للتغطيـة على هـذا الطمـوح المجنـون فكل قـادة الصهيـونيـة مـلاحـدة لا دين لهم ولا إيمان وكل همهم الدنيا والفوز بها.

قـال النجم السينمائى مارلـون بـرانـدو وهو يهودى إن اليهـود يسيطـرون على هوليـود ويتحكمون فى مقـدراتها.. وقـامت قيامـة الصهيونية عليه.

ولم يقل الرجل إلا الحقيقـة فالسينما الأمريكيـة التى انحدرت إلى العنف والجنس والدم والمخدرات والعـرى.. والفيلم الأمريكى الذى تحول إلى تجارة شرسة تخلو من القيم.. هى شـاهد صادق على أن

أموال المنتجين الكبار وأكثرهم من اليهود تحولت بالفعل إلى الإفساد وإلى تربية جيل جديد من الشباب على الدعارة والشذوذ والانحلال والسرقة والقتل والعنف.

لم تعد السينما الأمريكية ذلك الحلم الجميل الذى كنا نستمتع به أيام كلارك جيبل وفيفيان لى ولورانس أوليفييه.. وإنما تحولت إلى كابوس دموى من اطلاق الرصاص وتفجير القنابل وإلى شخوص مدمرة مثل شوارزنجر تنسف وتهدم وتدمر وتقتل.

ومثل هذا التحول الذى أصاب السينما فى العالم كله بالعدوى لم يحدث مصادفة ولم يتم عفويا وإنما بخطة وتوجيه وإرادة.. وهى إرادة ما كان ليملكها إلا المنتج الذى بيده الملايين.

والنجم الواحد أصبح يتقاضى الآن ثلاثين مليونا وأربعين مليونا.. وميزانية الفيلم الواحد تجاوزت المائة مليون.. وهى أموال لم يعد يملكها إلا حيتان البنوك وأباطرة البورصة وملوك الصناعة.. وكلهم يهود صهاينة ولهم هدف بعيد من هذا التحول وهذا الإفساد.. فالحلم المجنون بالسيادة على العالم لن يتحقق إلا إذا تحول العالم إلى عجينة طيعة وإلى أجيال رخوة من الشباب المخدر الضائع يمكن السيطرة عليها.

ولا تعمل السينما وحدها لتلك الغاية وإنما المسارح الاستعراضية والتليفزيون والأقمار الصناعية التى تبث العملية الجنسية بأوضاعها الشاذة طوال الليل على الشباب الساهر المخدر وكذلك مجلات البلاى بوى وصحف التابلويد وكلها يملكها يهود.

وعملاق الصحافة ودور النشر اليهودى «مردوخ» يملك وحده أكبر عشر صحف فى العالم.. والذين يملكون شركات الإنتاج التليفزيونى ومحطات البث أغلبهم يهود وصهاينة مثله.

والمسارح الاستعراضية فى برودواى وبيوت الموضة.. نفس

الشيء.. وكلها أحاطت بالشباب المسكين إحاطة السوار بالمعصم.. فلم يعد له مخرج ولا مهرب من هذا الإفساد القدرى.

إن السقوط شامل.. والخطر حقيقى.

وبلاد العالم الثالث نصيبها من التدمير أكبر.. لأنها الجانب الأفقر وشبابها هم الفئة الأضعف والأقل وعيا والأقل حصانة.

إنها صيحة حق أطلقها يهودى.. ومن اليهود رجال شرفاء ولاشك.. وقد أثنى القرآن على هذه القلة الفاضلة وقال فيهم:

« ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون »

(١٥٩ ـ الأعراف)

فجعل من هذه القلة أمة.

وجعل من ابراهيم وحده «أمة» فى رجل.

وهكذا الشرفاء دائما فى جميع العصور.

ولهذا لا يقف عقلاء المسلمين ضد اليهود ولكن ضد الصهيونية كيهودية منحرفة ضالة ولا يقف القرآن ضد أهل الكتاب وإنما ضد الذين انحرفوا منهم..

ويقول القرآن:

« من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله»

(١١٣ ـ آل عمران)

وصدق الله العظيم.

ولا يظلم ربك أحدا.

أقول هذا رغم أن مارلون براندو غُلب على أمره وتكاثر عليه الصهاينة وحاصروه بتهديداتهم وأرغموه على الاعتذار.. ولكن كلمة الحق كانت قد قيلت وملأت الدنيا ولم يعد هناك سبيل إلى محو ما حدث.

ومن قبل مارلون براندو أثار الكاتب الفرنسى روجيه جارودى

موضـوع اضطهاد النازيـة لليهود وخـرافة المحارق وغـرف الغاز والستة ملايين يهودى الـذين أعدموا وقال: إنها مبـالغات وأكاذيب وأن الـرقـم لا يصل إلى مليـون وأن المستنـدات الحقيقيـــة أخفيت والأرقام زيفت.. فقامت قيامة الدنيـا على الرجل وأقاموا له المشانق فى الصحف وقدم للمحـاكمة وحكم عليه بسنة سجناً مـع الغرامة.. وكل هذا لأنه حاول أن يمزق هـذه الشباك العنكبوتية من الأكاذيب ويبدد هذا الضباب من التعمية والتلفيق الذى أغرقوا فيه العالم.

وهم لا يكتفون بأن تكـون معهم وإنما يريـدونك أن تكون تحت سيطرتهم ونفس الشىء بالنسبة لكـل وسـائل الإعلام.. فلا أقل من أن يمتلكـوا الصحـافـــة ودور النشر وشركـات الإنتـاج السينمائى والتليفزيونى ولا يكفى أن يكون الرئيـس الأمريكى كلينتون حارسا لمصالحهم ومنحازا لهم وإنما يجب أن يكون.. الـولد المطيع.. الذى لا يقـــول لإسرائيل.. لا.. ولـــو ألقت إسرائيل القنـــابل على بيروت وقتلت المئـــات فى مجزرة قـــانـا وشردت الألـــوف من اللبنـــانيين وأخرجت أهل الجنوب اللبنانى مـن قراهم وديارهم.. فكل هذا يجب أن يكون حسنا فى نظر كلينتون وأن يبـاركه بلا مناقشة وأن يبرره ويدافـع عنه.. فهو ولـد مطيع.. لا يقـول .. لا .. ولا يجب أن يكون أكثر من بوق لرغباتهم.

وكل الـزعامـات يجب أن تكـون أبواقـا لهم حـارسة لمصـالحهم مدافعة عن جرائمهم.

هذه السيطـرة المجنونة للجماعـة الصهيونيـة هى طابع العصر.. وهى الداء السرطـانى الخبيث الذى يتغـذى على الحكومـات ويوهن الشعوب وينشر الإلحاد والأفكار الهدامة فى الشباب.

والأذرع الأخطبـوطية للماســونيـة التى وصلت إلى مقاعـد صنع القـرار فى كل الحكــومــات هى وسـائل الضغـط التى تستعملهـا

الصهيونية ليكون كل قرار لصالحها.. وقد اعترف الرئيس الفرنسى ديستان بأنه كان ماسونيا ونشرت الصحف الفرنسية أن كل مستشارى ميتران من الماسون.. والصهيونية تستخدم الضغط والإرهاب والتهديد والابتزاز وتشترى الذمم بالمال وتستعمل الجنس والغواية.. وهى لا تتورع عن أى جريمة تقربها من أهدافها.

ووراء كل الحروب والثورات تجد الأيدى الدموية للماسون والصهاينة.

وهدفهم النهائى أن يصبح العالم كله.. ذلك الولد المطيع الذى لايقول لإسرائيل .. لا.

وهو هدف مجنون.. ولن يتحقق .. لأن العالم ليس مجرد آليات وليس عجينة طيعة وليس مادة يمكن صهرها وصبها فى قالب.

العالم حياة أودع الله فيها الروح والعقل.. وهو قد يكبو مرة وقد يتعثر مرات وقد يدخل فى حروب ولكنه بحكم الروح والعقل المودعين فيه ما يلبث أن يصحو ويفيق ويكتشف أمراضه ويعالج نفسه.

والله لم يخلق العالم ليتركه للشياطين تفسد فيه.. فهو بحكم أسمائه الحسنى.. الحافظ والهادى والنور والحق.. يأخذ بيد هذا العالم إلى طريق النجاة طول الوقت.

وهو يقول فى كتابه عن هؤلاء الصهاينة:

كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله.

إن الله معنا طول الوقت.

وإذا كان الله معنا فمن علينا.

إن هى إلا كوابيس ليل.. وما يلبث الفجر أن يطلع.

الاتجـــاه شـــرقـا

كانـوا يعلموننـا فيما مضى أن الاتجاه غربـا بالنسبـة لمصر هو الاتجاه إلى منابع الحضـارة والتقدم والأمل.. وأن الاتجاه شرقـا هو الاتجاه إلى عالم الأسـاطير والأديان والتخلف.. وكـان أكثر أدبـائنا بالفعل أبناء ثقافـة غربية وسلالة باريسيـة وأنجلو سكسونية مثل طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم.

وكـانت هناك مبررات وجيهـة لهذا الـرأى .. فقـد كانت مبـادىء الحريـة وحقوق الإنسـان والفلسفـات المتنوعـة والعلـوم المتقدمـة والتكنولوجيا المتطورة تأتينا مـن هناك.. وكان لابد للأديب والمفكر أن ينهل من تلك المناهل ليجدد عقله.

ولكنى أعتقـد أن الوضع قـد اختلف كثيرا فى زماننـا وأن الصورة قد اختلفت بعـد التغلغل الصهيونى الذى لـوث كل الينابيع فى دول الغرب.. وأن حقـوق الإنسان قد انقلب معناهـا فأصبح قتل مائتى ألف مسلم بـوسنى وهتك أعـراضهم واغتصاب نسـائهم وتشريـد الملايين من أهليهم.. وهـدم مـدن الشيشان على سكـانها.. وكفـاح المواطن اللبنانى الجنوبى ليحـرر أرضه.. وكفاح الفلسطينى ليخرج الغـاصـب المحتل.. كل هـذا أصبح لا يـدخل تحت بنـد حقـوق الإنســان.. لأنهم مسلمـون.. والمسلمـون قـد سقطت حقـوقهم واستبيحت دمـاؤهم وأصبح المطلـوب مطاردتهم.. وأكثـر من ذلك أصبح الكفر بـالله والطعن على الأنبيـاء والشك فى نبوة المسيح وفى وجود الله.. كل هذا أصبح مباحا وحقا أساسيا من حقوق الفرد فى أوروبـا بينما أصبح أى مساس بـالصهيـونية وأكـاذيبها محرمـا ومحظورا على أى مفكر أو كاتب ومحروسا بقـوانين صارمة تدخل من يخالفهـا السجن.. وجـارودى أوضح مثـال على ذلك.. حينما قدموه للمحـاكمة لإثارته للشك فى رقم الستـة ملايين يهودى الذين

تـدعى الصهيـونيـة اعـدامهم.. والعجيب أن المجلـة التى تصـدت للهجوم عليـه هى نفسـها التى نشرت فى نفس الـوقت رواية سلمان رشدى «آيات شيطانية» وهى الـرواية التى تسب النبى محمد عليه الصـلاة والسـلام وتسب الإسـلام.. وهذا فى عـرفهم مبـاح.. أمـا المسـاس بأى أسطورة يهوديـة أو أى أكاذيب صهيـونية فـلا حق لأحد فيـه.. وقد رأينا ألمانيا تقف مع إسرائيل فى عـدوانها على لبنان ورأينا جـون ميجور يؤكـد حق إسرائيل فى هذا الإجـرام.. والرئيس الأمريكى كلينتون يبارك هذا الظلم.

هـذه الخيـانة الصريحة لكل الأعـراف والقيم والمبـادىء.. وهـذا السقـوط المخجـل والمشين للعقل الأوروبى وللحضـارة الغـــربيـة برمتها هى وصمة هذا العصر وعار هذا الزمان.

وقـد قتل فى لبنان مسيحيـون ومسلمـون فلم يتحـرك الوجـدان المسيحى فى أوروبا ولا فى أمـريكا.. وفى فـرنسا تعـرض المسرحيات التى تسخر من اللـه ومن المسيح فلا يعترض عليهـا أحد ثم يكتب سطـر واحـد موضـوعى ومـؤيـد بـالمستندات يشكك فى أكـذوبـة صهيونية فتهب الصحافة كلها ويتحرك القضاء لمحاكمة الذى نطق بهذا الإفك وسطر هذا الجنون ويتدافع الكل يطالب بسجنه.

هل هذه هى حقـوق الإنسـان.. وهل هذه هى الحريـة الأوروبية.. وهل هذه هى الحضارة الغربية.. أم أن مـا نراه هو مذبحة الحرية وانتهاك الحضـارة على يد حفنـة من المتآمـرين الصهاينـة وضعوا أيـديهم على منافـذ الحكم واستـولـوا على منابـر الـرأى.. وسـاقـوا الشعوب الأوروبية أمامهم كالقطيع.

هل هذه هى القبلـة التى نتجه إليهـا لنأخذ منهـا .. هل هذا النبع الملوث هو الذى نشرب منه.

لا والله بل نتجـه شرقا.. إلى الصين.. وإلى الأمـل الجديد البـازغ..

إلى حيث لم تـدخـل الصهيـونيـة بعـد ولم تلــوث اليـنـابيع الأولى للإنسانية..

نتجه إلى الفطرة والبكارة.

ونتمسك بكتابنا الذى لم تبدله يد.

ونلتمس العون دون أن نفرط فى قيمنا وحضارتنا.

ونقدم عزاءنا لأوروبا فى حضارتها التى ماتت.

الــبرامــكة

إسرائيل فى حالة زهـو وعلو وانتفاخ وغرور.. ولكن كل مـا تزهو به ليس ملكا أصيلا لها بل هو مستعار من الآخرين.. المال أمريكى والسـلاح أمريكى والتكنـولوجيـا النوويـة أمريكيـة والظهر الـذى يسـانـدهـا فى الأمم المتحـدة أمـريكى.. وأوربـا تغمض العين عن إجرامها إرضاء للحليف الأمريكى.

كل هـذه القوة منتحلـة وليست أصيلة.. بـاروكة.. ولكن الـرأس تحتها أقرع ليس فيه شعرة واحدة.

إنهم البرامكة الذين تسللـوا إلى الحكم فى عصر الرشيد.. والمماليك الذين تسللوا إلى العسكرية فى عصر محمد على..

والسيادة الإسرائيليـة ظرفية ومـوقوتة ولـن تدوم فالـولد المطيع الـذى أغدق عليهم المال وفتح لهم الخزائن لن يبقى لهم إلى الأبـد.. والظروف السيـاسية التى أتت بهم سـوف تتخلى عنهم.. ونهايتهم ستكون مثل نهاية البرامكة ومثل نهاية المماليك فى مذبحة القلعة.

إن التاريخ يعيد نفسه هذه المرة على اتسـاع الرقعة العالمية وليس فى قصـور بغداد وقلعـة المحـروسـة.. ولنفس الأسبـاب.. فالنمـو السرطانى لا يمكن أن ينتهى نهايـة طبيعية لأنه هو نفسـه نمو غير طبيعى.. بل نمو متطفل.. نهايته الموت الحتمى إذا انقطع عنه الغذاء وامتنع عنه الدم.

إضبطوا ساعاتكم..

إسرائيل تتسارع إلى ذروتها ثم يبدأ العد التنازلى للنهاية.

والأربع سنوات القـادمة هى ما تبقـى من عمرها.. قـد تقل.. وقد تزيد الله أعلم.. ولكن الانهيار مـؤكد.. والسعداء هم المكتوبون عند الله أسبـابا لهذا الانهيـار وعوامل مسـاعدة لتقويـض هذا الظلم.. فبهم سوف تتم العبرة وسوف تعلو الحكمـة الإلهية.. بأنه لا يصح إلا الصحيح.

٧

الصداقة الكاذبة

إن إسرائيل تـدعى دائما أنها صـديقـة لمصر.. ولكن تـرسـانتهـا النووية التى وضعتها على حدودنـا تطعن فى هذه الصداقة.. فكيف يلجأ الصديق إلى إرهاب صديقـه.. والإرهاب سلوك لا يلجأ اليه إلا عدو.

وإذا كانت إسرائيل لا تطمئن إلينا فكيف نطمئن إليها.

وحكاية أن الترسانة النـووية الإسرائيلية مقصود بها ايران.. هى نكتـة فالتـوراة المتـداولـة والتى يتلوهـا كل اسرائيلى هى منشـور سياسى ضد مصر وأكثر آياتها تهدد مصر بالويل والثبور وعظائم الأمور.. ولا تذكر حرفا واحدا عن إيران.

والتوراة تطلق على مصر اسم .. « بيت العبودية ».

ونقرأ فى الإصحاح « الحادى عشر من سفر أشعيا ».

« ويبيـد الرب لسـان بحـر مصر ويهز يـده على النهر بقـوة

ريحه ويضربه إلى سبع سواق يعبر فيها بنو إسرائيل بالأحذية وتكون سكة لبقية شعبه كما لإسرائيل يوم الخروج من أرض مصر».

« فهذه نبوءة بغزو إسرائيلى لمصر.. يدخلونها بالأحذية كما خرجوا منها فى حماية الرب منذ آلاف السنين».

وفى الإصحاح ٤٣ من نفس السفر:

«لأنى أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك جعلت مصر فدية لك » فنحن إذن خروف الضحية يذبحه الله فدية لشعبه الحبيب إسرائيل .

وفى مكان آخر من نفس السفر يقول الرب « **أهيج مصريين على مصريين فيحارب كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه مدينة مدينة ومملكة مملكة وتراق روح مصر داخلها وتضيع مشورتها فيسأل كل واحد العرافين والتوابع والجن وأغلق على المصريين فى يد حاكم قاس فيتسلط عليهم».**

وتجف الحياة من البحر ويجف النهر وتنتن الأنهار وتضعف السواقى ويتلف الزرع وتجف الرياض والحقول على ضفاف النيل.. والصيادون لا يجدون صيدا .. وكل من يلقى بشص إلى النيل ينوح.. ويكتئب كل عامل بالأجرة.

لقد ألقى الرب عليها روحا شريرة أوقعت مصر فى ضلال وأضلت أبناءها فإذا بهم يترنحون كالسكران فى قيئه فلا يكون لمصر عمل يعمله رأس أو ذنب.

فى ذلك اليوم تكون مصر كالنساء ترتعد وترتجف من يد رب الجنود وهو يهزها.

وتــكون أرض إسرائيــل ويهوذا رعبـا لمصر.. كـل من ذكـرهـا يرتعب.

إن الرعب المطلوب إذن ليس لإيـران.. ولا ذكر لإيران فى التوراة.. ولكن الرعب المطلوب هـو لمصر ولأهل مصر.. والحقد كله على مصر وعلى أهل مصر.

والمطلوب أن يرتعد رجال مصر كالنسـاء رعبا من إسرائيل.

يتلـو اليهــود كل يـوم هــذه الكلمات المسمـومــة فى تـوراتهم ويخططـون سياستهم على وفـاقها.. وهــم قد وضعـوا ترسـانتهم النوويـة على حدود مصر لإرهاب مصر.. وحتى يرتعـد رجال مصر كالنساء رعبا من قوة إسرائيل.

وهذه هــى الصداقة الإسرائيليـة.. والصداقـة الأمريكيـة تأتى فى ركـابها.. ولقـد دافعت أمـريكـا عن نهب إسرائيل لأراضى القـدس بإصدار فيتـو فى وجه مصالح العرب جميعهم.. وجـاء البنك الدولى وصنـدوق النقـد الـذى يسير فى ركـاب الاثنين بنصيحـة مـدمـرة لـلاقتصــاد المصرى هى تخفيض قيمـة الجنيــه.. وهى نصيحـة خسفت باقتصاد المكسيك وأنزلته إلى الحضيض.

وقال الـدكتور عـاطف صدقى : إن هذه النصيحـة سوف تـدمر اقتصادنا.. ورفض أن يعمل بها.

وهؤلاء هم أصدقاؤنا ياسـادة..

وهل من شيمة الصديق أن يضر صديقه..؟؟ أو يدمر اقتصاده.

إن اتهامنا لا يأتى من فراغ.

إنــه يأتى نتيجة نظـر فى التاريخ وفى العقيـدة التى تحكم حركـة هؤلاء النـاس وفى سجل أعمالهم وفى صحيفة عـدوانهم التى لا يمر

يــوم دون أن يضيفــوا إليهــا الجديــد فى أعمال القتل والنسف والحصار والتشريد.

وما وجدناهم وعدوا إلا أخلفـوا ولا واثقوا إلا كذبوا.. وما وصفهم اللـه فى قرآنـه بالمفسـدين ظلما.. تعـالى ربنا عن ذلك علـوا كبيرا.. فكيف نصف أفعالهم تلك بالصـداقة والإخوة.. وكيف نطمئن إليهم وهم لا يطمئنون إلينا.

وكيف نطـالب شعوبنـا بـالتطبيع والتعامل الـودود مع مثل تلك الخصـال.. إن الأيدى تتصافح أمـام التليفزيون والقلوب كل قلب فى واد.. وكلمات السلام تموت على الشفاه بلا معنى.

والسلام كلمة يتيمة الأبوين كل واحد يدعيها لنفسه دون شهادة ميلاد صحيحـة ودون إثبات.. وآخـر عهدنا بـالسلام كـانت حرب الخليج التى خطط لها الـرئيس بـوش وادعى انها كـانت لخدمـة السـلام والحقيقة انها كـانت لنهب الثروات الـدولارية والبترولية للمنطقة ولإغـراق البيت العربى فى أحقـاد عربية عـربية لا تنتهى.. وقد عادت الجيـوش الأمريكية وتركت المعتـدى يشاغب ويهدد كما يشـاء دون أن تمس شعـرة من رأسـه.. ومــازالت نيران الحقـد مشتعلة.

إننـا نسير فى حقل ألغـام وفى بحر من الـرمـال النـاعمة.. وهـذا شعــور أسمعـه مـن كل مصرى ومن كل مستمع إلى الأخبــار أو قارىء للصحف أو متأمل للأحداث.

ومطلوب وقفـة صدق مع النفس ومع الطرف الآخـر.. فلن يكون هناك تقـدم ولو شبرا واحدا.. بـالافتعال.. وبالمانشتـات الصحفية المصطنعة.. وبالتصفيق الفج.. وبالتذرع بالأمانى والأحلام.

هناك صراع عربى إسرائيلى على كل المستويات والأصعدة.

وعلى الطرف الإسرائيلى أن يبرىء نفسه بالأفعال.. وأن يبدأ بإزالة ترسانته النووية من حدودنا.. قبل أن يكون هناك حديث فى أى موضوع وقبل أن يسمى نفسه صديقا أو حليفا أو حتى جارا يدعى المسالمة لجاره.

والسياسة حسابات وليست مقامرة.. ولا يوجد رئيس يقامر بشعبه.. وقد دخل عبدالناصر بشعب مصر وبكل العرب فى حرب ٦٧ الخاسرة.. ولن نقبل مقامرة أخرى.

إن الاجماع الكامل وراء الرئيس مبارك والفرحة الشعبية بنجاته والتأييد الكاسح لسياسته هو قوة تفاوضية جديدة يمنحها الشعب لمبارك وسند إضافى يقوى به مواقفه على المائدة السياسية مع أطراف المشكلة العربية الإسرائيلية.

إنه الآن لم يعد صوتا واحدا ولكنه أصبح مائة مليون صوت فى مقابل خمسة ملايين صوت إسرائيلى تريد كل شىء مقابل لا شىء.

إن إسرائيل تريد التطبيع الكامل مع مصر وترفض أن ترفع سوط التهديد النووى عن حدودها.

والذين أعطوك البيعة ياسيادة الرئيس يريدون مستقبلا آمنا لهم ولأولادهم ويرفضون هذا التهديد.

وهم مائة مليون عربى.. ولهم عليك حق عرب.

ولا تشغل نفسك بالسودان ياسيادة الرئيس فما كانت الأيدى المعتدية سوى الأداة الرخيصة التى استأجرتها الأموال المتآمرة بفائض مضارباتها البنكية فى ذلك اليوم.

والاشتباك مع السودان هو منتهى أمل هؤلاء المتآمرين الكبار.

منتهى أملهم أن ندير ظهرنا للقضية ونضرب بعضنا بعضا.

وذلك أكبر عائد يحققونه لأنفسهم بذلك الشيك التافه الذى قدموه للمعتدى.

ولن يصل المتآمرون إلى مرادهم أبدا فالله سوف يحرس هذا البلد واسم بلدنا فى كتب التاريخ سيظل دائما.. «مصر المحروسة».

قطـــر ومســـقط

منتهى أمل إسرائيل أن يتصرف العـرب كقبائل متفـرقة متنـاحرة لا تجتمع على شيء.. وقـد أقـامت سيـاستهـا على هـذا المفهـوم.. فحاولت أن تنفرد بكل طرف بعيـدا عن القطيع وتغلق عليه الأبواب فى محـادثات سرية.. فعلت هذا مع كـل الأطراف.. وهو أسلوب لئيم يبحث عن نقاط الضعف ويلجأ إلى الإيقـاع والتفريق لا إلى الصراحة والمواجهة.

وكـان الصديق الأمـريكى الكبير يأخذ الأطـراف واحدا واحـدا فى معازل داخل الغابات والمنتجعات الـريفية وفى غرف مقفلة وقاعات معـزولة لا يـدخلها صحفى ليتم حصـار المفاوض العـربى بكافـة وسـائل الضغط والغواية حتى يسقط من التعب والإرهاق.

أسلوب عصابات وليس أسلوب دول محـترمة.

ومحادثات أوسلـو التى أدت إلى سقوط عـرفات كـانت لونـا من ألوان هذا التحايل.

وقد سارعت قطر ومسقط إلى طلـب القرب وإلى السكة التى ظننا أنها سكة السلامة فأرادتا أن تسبقا إليها الآخرين.

وسمعنا صـوت قطر فى اجتماع شرم الشيـخ يهرول إلى شمعون بيريز ويقـول: أبواب قطر مفتوحـة لك تحل فيها متى تريـد بدون دعوة ياسيادة الرئيس.

هى مسرحية تـاريخية عجيبـة ولا شك.. والأبطال يسـارعون إلى حتوفهم فى استسلام قدرى غريب.

وإسرائيل تعلو وتعلو.

وهـذا أمـر يـدعو إلى الاطمئنـان فهـذا دليل على أن الـروايـة لن

تطول.. وأن النهاية تقترب فالفصول تتابع هرولة وقفزا.. ونحن نوشك على العلو الكبير الذى تحدث عنه القرآن.. وبالتالى نقترب من الختام.

ياعرب اقرأوا قرآنكم وتدبروا معانيه.. ولا تتعجلوا مكاسب اليوم ولا مصالح الساعة وحاولوا أن تحجزوا لكم مكانا فى المستقبل.

فالمستقبل سوف يختلف كثيرا عن الحاضر.

والسنوات القادمة هى الخافضة الرافعة التى سوف تجعل الذين فى الأعالى فى الأسافل والذين فى الأسافل فى الأعالى.

افتحوا أعينكم على الجرف الهاوى الذى تقفون عليه.

إن ربكم لا يكذب.

وهل يستطيع أحد أن يتكلم بيقين عن المستقبل غيره.. وهو الوحيد الذى بيده مقاليد الأزمنة والمقادير والأعمار.. والمستقبل بين يديه كالآن.. والتاريخ تحصيل حاصل.

يأمة القرآن.

من أصدق من الله قيلا؟؟!!

إنما هو الفرز النهائى بين المصدقين والمكذبين وبين الناجين والهالكين.. وليس قرآننا وحده الذى يقول هذا الكلام ولكن أناجيلهم وتوراتهم.. ثم أكثر من هذا واقعهم الذى يتحدث بأفصح من كل كلام.

أقلية من شذاذ الآفاق تصعد بالحيلة والمكر على هرم من الأكاذيب.. وتتصور أنها يمكن أن تسود العالم بتلك الأكاذيب.

نباتات طفيلية متسلقة تسلقت على الأشجار الأمريكية العملاقة

لتصل إلى عين الشمس ودفعت بأجهزة الإعلام التى تملكها لتصفق لها.. وتملأ العالم بدوى الطبول الفارغة.. وانخدع العرب وتسارعوا كل واحد يحاول أن يحجز مكانا فى سفينة المستقبل التى سوف تحملهم إلى بلاد الكنوز والأحلام وإلى أرض اللبن والعسل.. ولا شىء هناك سوى الأكاذيب.. وسوى الرعب النووى والأسلحة الكيميائية والسيطرة الاقتصادية والإفساد والإفقار والتهديد والإذلال.. وحقد مئات السنين يحاول أن ينتقم لنفسه.

وأحلام السيادة والعنصرية.. والنازية الألمانية تعود فى ثوب جديد رهيب مسلح بالمخالب النووية.

والزعماء العرب الذين هرولوا.. إنما هرولوا وجرجروا شعوبهم إلى هاوية.. افتحوا العيون ياسادة.. وأصيخوا السمع.. فلاشىء هناك سوى القتل.. فهم يلقون بقنابل على الجنوب اللبناني.. وهم ينسفون البيوت فى فلسطين.. وهم يضربون حصار الجوع حول الأبرياء.. وهم يلقون بالمئات فى السجون.

وحاشا لله ولا أقول انه قد أصابنا جنون البقر.

٨

انهم يبيعون لنا الوهم

يتحدثون عن ثقافة السلام.. !!

أين هو ذلك السلام الذى يتحدثون عنه.. والحقائق تقول: إن إسرائيل قامت بخمس عشرة عملية تجسس عبر سيناء مشفوعة بمحاولات لترويج المخدرات والعملات المزيفة إلى بلدنا فى عهد السلام السعيد.. وهذا كلام صحافتنا القومية وليس كلام صحف المعارضة وهو ماتم ضبطه حتى الآن وما خفى كان أعظم..

وعلى بعد كيلو مترات قليلة من حدودنا تضع إسرائيل ترسانتها النووية وتزودها بما تشاء من قنابل ميكروبية ورؤوس كيمائية.. وترفض أى مفاوضات بشأن إزالتها وتضاعف من أسلحتها القتالية كل يوم بضمان من أمريكا بأن تظل متفوقة عسكريا على مجموع ماعند الدول العربية من سلاح.. ومن وراء الحكومة الاسرائيلية شعب يقدس القتلة أمثال باروخ جولدشتين وإيجال عامير.. رموز الحقد والكراهية لكل ماهو عربى.

وتحت هـذه المظلـة من الـرعب يـرسلون الـوفـود ويبـاشرون المفـاوضــات.. ويقولـون: التطبيع أولا.. تطبيع على مـاذا.. ؟ وكيف يغامـر رئيس حكومة عـربى بشعبه فى مقابل صفقـات من الوهـم.. وكيف نضع أيدينـا فى أيدى من يتجسس علينـا وفى أيدى من يقتل أسرانا غيلـة.. ومقابر سينـاء الجماعية شاهـدة عليهم وعلى أيديهم الملطخة بالدم.

وهذا ربنا يقول عن مواثيقهم:

«لقـد أخذنـا ميثـاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسـلا كلما جـاءهم رسـول بما لا تهوى أنفسهم فـريقـا كـذبـوا وفـريقـا يقتلون» (٧٠ ـ المائدة).

وتلك مواثيقهم مع الله..

كيف نصدقهم..؟!!!

وكيف يـأتمنهم حــاكم على شعبـــه واللــــه أحكم الحاكمين لم يأتمنهم ولعنهم وشتتهم وقطعهم فى الأرض أممـا وضرب عليهم الذلة والمسكنة أينما كانوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس.

وبذلك الحبل الممـدود من الناس (أمـريكا والغـرب) استأسدوا علينا وعلى الدنيا.

كيــف يســتقيم الحكم لحــاكم دون أن يـدخـل كل هـذا فى حساباته..؟!!!

نعم نـريد السـلام .. ولا أحد يـرفض السلام.. ولكن مـايجرى حولنا ليس سـلاما.. بل تكديس للسلاح وارهاب بالتهـديد النووى وتجسس وتخريب للاقتصاد بالعمـلات المزيفة وإفساد بالمخدرات وحصار بالتحـالفات العسكرية ومعاهدات للـدفاع المشترك مع هذا وذاك تحسبا لمواجهــة يرونها محتومة.. بينما نحن غـرقى فى شهر عسل السلام.

ومازالت المستوطنات الإسرائيلية الجديدة تبنى فى داخل القدس والضفة وحول الجيوب المعزولة المحاصرة التى أسموها بالدولة الفلسطينية بمعدل ألف وخمسمائة فدان من الأرض تستولى عليها إسرائيل شهريا رغم أنف السلام المزعوم.. وهذه إحصائية الجامعة العربية وليس كلام جرائد.

ومازالت إسرائيل تحاول أن تقتطع حصة من الجولان السورية وتساوم على القيراط والذراع والشبر وتشترط عليها بناء مراكز استشعار وبث العيون من حولها فى الأرض والجو.. ولا أمان.. ولا اطمئنان.. ولا ثقة.. ولا صدق فى أى شىء.

والسلام العربى الإسرائيلى يتحول بالتدريج إلى ذريعة للتدخل فى كل صغيرة وكبيرة فى شئون المنطقة تحت ستار مشروعات مزدوجة وشراكة ومعونات وقروض ظاهرها الرحمة وباطنها الاستيلاء التدريجى على مقدرات المنطقة وإدارتها لصالح استعمار جديد يتسلل إلى الماء الذى نشربه واللقمة التى نأكلها والقمحة التى نزرعها وفتلة القطن التى ننسج منها ملابسنا والكلمات التى تنشر أو لا تنشر فى صحفنا والأفكار التى نتداولها وما نحب وما لا نحب وما نقبل وما نرفض وما نعتاد وما لا نعتاد.. تحت مسميات بريئة.. مثل ثقافة السلام واقتصاد السلام وأدب السلام وضرورات السلام.. إلى آخر هذه الكلمات الخادعة المضللة وبالونات الدخان التى يطلقونها للتعمية ولستر عملية التسلل التى يقومون بها فى دهاء.

هناك مشروع خبيث للتسلل البطىء والتدريجى والتدخل السرطانى فى نسيج حياتنا.

والضغط المتواصل والسخيف على الرئيس الأسد يحدث مثله

على جميع الأصعدة وتعتمد السياسة الأمريكية على سياسة.. العصا والجزرة.. التى يستخدمها مدربو الوحوش لإدخال النمور فى أقفاصها.. الإغراء والتهديد بما حدث للمشاغبين أمثال صدام والقذاف وما جرى على العراق وليبيا وما أصاب الشعب الليبى والشعب العراقى بسبب العناد.. وماجرى على أهل العناد من مسلمى أوربا وآسيا فى البوسنة والشيشان.. والنصح الخبيث بأن التفاهم أفضل والتعاون مع السيد الإسرائيلى والحليف الأمريكى أفضل.. فأمريكا هى القوة الوحيدة القادرة فى العالم وإسرائيل هى الدولة الديمقراطية الوحيدة فى المنطقة وهى رمز التقدم والاستقرار.. ولكن الحقيقة هى العكس تماما.. فأمريكا هى أكبر دولة مدينة فى العالم. وهى مهددة بالإفلاس وبالانهيار من داخلها بصراع الأبيض والأسود وبغول المخدرات والإيدز والانحلال الأسرى.. والبنيان الإسرائيلى يتآكل من داخله بصراع الفلاشا والاشكيناز وصراع يهود الشرق ويهود الغرب وأصولية الحاخامات وانتهازية الساسة وشح الماء وتصحر التربة.

ولن تنتصر إسرائيل ولا أمريكا فى مخططهما ولن يمضى مشروع السلام إلى غاياته الخبيثة ليس لأن العرب أقوياء أو عباقرة.. ولكن لأن الكون تحكمه إدارة غير إدارة البيت الأبيض ويرأسه عظيم غير كلينتون.. والدنيا لها رب يحفظها من الفساد والمفسدين.

والله الذى خلق العرب والأمريكان والإسرائيليين يريد للمنطقة شأنا آخر ونهاية مختلفة غير ما يحلم به الكنيست.

إن القوة الوحيدة التى تقف عقبة أمام الحلم الإسرائيلى الأمريكى هى الإسلام وقد حاولوا تشويهه واستعملوا الأيدى

العربية والرايات العربية التى ترفع شعارات الإسلام واشتروا الضمائر الخربة واستغلوا التمزق الموجود فى الصف العربى.. وجعلوا من الدين (وبأيدى أهله) محضنا لتفريخ الإجرام والإرهاب وترويع الناس.. وحرضوا الكل على الكل واتفقوا مع الكل من وراء ظهر الكل واستخدموا مكرهم وسذاجتنا واتحادهم وتفرقنا ليصنعوا المأساة التى نعيشها اليوم.

منعطف خطير

والراصد للمناخ الفكرى والاجتماعى الذى نعيش فيه يكتشف ان هناك اتجاهات غوغائية لاستخدام الدين كمنصة لإطلاق صواريخ الهدم والتخريب والبلبلة ونشر الفوضى.

الذين بدأوا بحسن نية جهدا بناء فى موضوع الاقتصاد الإسلامى والبنوك الإسلامية والتوظيف الأمثل للمال.. مالبث أن خرج عليهم من قام بتكفير البنوك جميعها ومن وصمها بالربوية ونهب المال الخاص والعام.. ثم خرج من عباءة هؤلاء عصابة من أصحاب الجلابيب واللحى والمسابح تنشىء فيما بينها شركات توظيف أموال إسلامية وتعد المساهمين بأرباح تتجاوز الخمس وعشرين فى المائة بطريق المضاربة الإسلامية الحلال.. وفى خلال شهور كانت الملايين تتدفق فى جيوب الريان والسعد والشريف والهدى وما لبثت أن تجاوزت المليارات ثم اتضح عجز هؤلاء الناس عن استثمار تلك المليارات ولجوؤهم إلى قنوات مريبة مثل الاتجار فى العملة والمضاربة على أسعار الذهب وإيداع أموال الناس فى البنوك الأجنبية بالربا.. (الربا الذى لعنوه من قبل وقالوا فيه.. لأن ينكح الرجل أمه أهون من يودع ماله بالربا) واتضح انهم كانوا يعطون عملاءهم تلك النسبة العالية من الأرباح من ودائع الآخرين وليس من الاستثمارات الحلال التى يجمعونها.. ثم كانت

فضيحـة كبرى.. ومحاكمات.. وسجـون.. وضـاعت أمـوال النـاس الطيبين.

ثم جاءت الموجة الثانية وطلع علينـا دعاة إصلاح دينى من لون آخـر أخطـر.. أصحـاب لحى ومسـابح وجـلابيب يحملـون الكلاشنكـوف والقنابل اليدويـة.. يقتلون النـاس ويفجرون المرافق وينسفـون المنشآت.. بـدعـوى أن الديـار ديـار كفر ومن التقـوى هدمها وإزالتها.. ثم اتضح أن وراءهم منظمات ومعسكرات تدريب ومـلايين الدولارات تتـدفق من بنوك أجنبيـة.. وصهيونيـة ماكـرة تستعملهم لتمهيد الأرض وحراثتها حسب مخططات معلومة لهدم الإسلام بالإسلام وهدم الحائط المصرى.. العائق الوحيد الذى يقف أمام إسرائيل الكبرى.

ثم جاءت الموجة الثالثة على استحياء.. هذه المرة بهدف التفتيش فى الضمائر واتهام النيات.. وسلاحها الجديـد هو «دعوى الحسبة» وحق المسلم فى تجريم وتكفير من يـرى أنه من أهل الزيـغ والباطل عملا بالمبدأ القرآنى.. **«الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»**. وهو تفسير سيىء وخاطىء لنظام الحسبة.

والمبدأ القرآنى لا يحمل هذا المعنى أبدا.. لا يدعو إلى التفتيش فى الضمائر واتهام النيـات وقـراءة مـا بين السطـور.. ثم أن دعـوى الحسبة لا يمكن أن توضع فى يد أى إنسان بلا ضوابط.. وإطلاقها للكل معنـاه عـودة محاكم التفتيش.. وسجون ومشـانق العصـور الـوسطى.. وإذا كـان البابـوات قـد فعلـوها.. فليس فى إسـلامنـا بابوات.. والتفريق بين المرء وزوجـه هو من أعمال الجن والسحرة.. ولا يليق بمسلم يتقى الله.

وإذا فتحنا هذا الباب فسـوف يتوقف الاجتهاد وتموت الصحوة الإسلامية فى مهدها.

ولقد كنت هدفا لتلك الموجة حينما أصدرت كتابى..« القرآن محاولة لفهم عصرى».. فطلع من السودان كتاب أسود فى حقى من تأليف محمودمحمد طه يتهمنى بالكفر والضلال.. وقد شنق هو نفسه بعد ذلك بنفس التهمة.. شنقه حكم قضائى فى عهد النميرى.. ولم يكن الكتاب الوحيد الذى اتهمنى بل تلاه عدة كتب.

واتهمت حينذاك بأنى قاديانى وبأنى بهائى.. وأوقف الكتاب من التوزيع فى مصر.. ثم أفرج عنه بتدخل شخصى من الشيخ عبدالحليم محمود شيخ الأزهر حينذاك والدكتور عبدالعزيز كامل وزير الأوقاف.. والدكتور عبدالعزيز كامل كان من الاخوان والشيخ عبدالحليم محمود كان صوفيا عالى المقام.. ولولا هذان الرجلان المستنيران لظل كتابى إلى الآن فى المخازن.

إن التفتيش فى الضمائر من عمل الله وحده.. ولا يجوز أن نتهم بالكفر من يقول لا إله إلا الله.. والذين أخذوا الإسلام بالوراثة وبدون اختيار وإعمال فكر لا يصح أن يتهموا بالردة إذا طرحوا موروثاتهم الإسلامية ومسلماتها وبدأوا فى إعادة النظر وإعمال الفكر.. فهذا حق كفله الله للمسلم.. إنه من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.. والمسلم بالوراثة وبدون فكر صاحب حق عند الله فى أن يعيد النظر ويفكر ويقبل أو لا يقبل دون أن يخرج عليه واحد ليقتله باسم حد الردة.. إنما الحد ينطبق فقط على من آمن ابتداء باقتناع ذاتى وقبول شخصى.. ثم ارتد بعد ذلك وخان أمانة عقله واختيار قلبه لهوى أو مصلحة وأخذ جانب أعداء الدين.. فهو بهذا المعنى ينطبق عليه ما ينطبق على الجاسوس الذى انضم لأعداء وطنه وخان بلده.

وليس فى سنة الإسلام تكبيل العقول ولا سجن الأفكار.

والله لا يحب الذين يأتونه يقولون **«حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا»** (١٠٤ المائدة).

بل هى فى القرآن تهمة أن تأخذ الدين تقليدا عن الآباء دون اقتناع ودون إعمال عقل.

والله لا يحب أن تأتيه كرها.. وغصبا.. بسيوف الآخرين.

وهو يقول لنبيه.. «**أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**».

ويقول له : « **إن عليك إلا البلاغ**».

وإذا كان القرآن يأخذ الجزية ممن يرفض الإسلام ويبقى على دينه.. فإنما هى ضريبة دفاع لأن جيوش المسلمين سوف تتولى الدفاع عن ذلك النصرانى أو اليهودى.

وتسقط الجزية عن المسيحى الذى يدفع ضريبة الدفاع لبلده.. وعن المسيحى الذى يقاتل مع المسلم جنبا إلى جنب دفاعا عن الوطن.. وقد حارب معنا المسيحيون بالفعل فى الهجمة الصليبية الماضية.

والله لايعاقب الذى لم يقتنع بالإسلام واختار دينا آخر.. لايعاقبه فى الدنيا وإنما يدخر عقابه للآخرة لأنه ساعتها سوف يعاقب نفسه بنفسه حينما يرى الله ويرى أى جنة ورضوان حرم نفسه منها.. « كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا».

والإسلام دين حرية بمعنى الكلمة.. لأن المسئولية فى الآخرة سوف تنبنى على تلك الحرية فى الدنيا.

وهذه الزوبعة بملاحقة الناس والتفتيش فى ضمائرهم وعقولهم جريمة لا تليق بمسلم مستنير وهو عمل ضد الدين وضد الإسلام.

والفكر يرد عليه بفكر.. والرأى الزائغ يرد عليه برأى يقومه.. والضلال يرد عليه بهدى.. والعلم الناقص يرد عليه بعلم أكمل منه.. أما العودة الى اعتقال المفكرين وتطليقهم من زوجاتهم بتهمة الزيغ والشطح.. فهو تخلف وتعصب لايليق بمسلم.

وأن تصدر عن المسلمين كل تلك الدعوات الجاهلة.. هى مسألة تدعو للنظر وهى تدل ولاشك على الخواء الدينى وعلى نقص المعلومات الدينية الضرورية للمسلم وعلى تقصير جهات الدعوة فى بلدنا وتقصير الصحافة وتقصير التليفزيون فى توصيل المعلومة الإسلامية فى رحابتها وسماحتها وسموها للقارىء والمستمع والمشاهد.

والإسلام فكر وحوار وتدبر وتأمل ومناقشة لكل وجهات النظر.. وليس مجرد تلاوات وتجويد وترتيل للقرآن وزيارات عمرة وإطالة للحى وطقطقة بالمسابح.

التدين حالة وجودية تشمل المتدين بكليته وتنقله من حال الى حال.

والمسلم فى أزمة ترق مستمرة وفى حوار مع نفسه ومع ربه ومع كل مايجد فى عصره من علوم وكشوف وأفكار وفلسفات.

المسلم ليس كائنا كهفيا معزولا فى الماضى.

المسلم ليس مواطنا للعصر العباسى أو الأموى وليس تابعا للخلافة العثمانية المسلم نهر متدفق متجدد لايصحو على يوم مثل الآخر ولاينام على ليلة مثل الأخرى وإنما هو نهر مستوعب مفتوح لكل رافد جديد يصب فيه.. المسلم الذى لايهتم بثورة المعلومات والكومبيوتر وأخبار العالم عبر الأطباق والذى يغلق عقله على مخطوط قديم ولايسمح بطارق العصر وبالجديد فى علوم الفضاء وغوامض الكون ان تطرق بابه مقصر فى واجبه ومقصر فى إسلامه.

إن قرآنه يقول له كل يوم «اقرأ باسم ربك».

ولو أنه قرأ فى علوم الفضاء وتعمق فى غوامض الكون فسوف يزداد إيمانه وتزداد رهبته وخشوعه وتقواه وتزداد صلاته خشوعا وعمقا.

ومزيد العلم للمسلم هو دائما مزيد إيمان.

لاتقاطعوا العصر.. فالعصر عصر مدد وفيض وأنوار متدفقة.

وعصرنا ليس كله دعارة وشذوذا جنسيا وانحلالا وفسقا.. نعم فيه كل هذا.. ولكن فيه أيضا ديمقراطية وحقوق إنسان.. ورؤساء حكومات فى أكبر الدول يُسألون أمام المحاكم.. وفيه فيض غامر من العلوم المثيرة للعقل.. وفيه فنون رفيعة.. وفيه أدب راق.. وفكر متنور..

وإذا كان الله يدع أمريكا رغم ظلمها فلأنها ترصد الميزانيات الهائلة لتلقى فى الفضاء بمنظار مثل.. هابل.. يجوب الفضاء ليفتح أعين العلماء على المجاهيل البعيدة.. هذا عمل فدائى ومال يبذل بسخاء للمعرفة وليس للاستعمار.. وهو بالمفهوم الدينى.. عمل صالح.. ومثل ذلك ما يرصد من أموال هائلة لبحوث علاج السرطان.. ولمعرفة سر الحياة.. واكتشاف الجديد فى عالم الذرة والمجرة والميكروب والنبات والحيوان.. وما يبذل من مليارات لإنقاذ البيئة من التلوث.

إن البحث العلمى (وتكاليفه بمئات المليارات) هو القاطرة التى تقود مسيرة التقدم فى العالم كله.. وإذا كنا لانقدر فى بلدنا على هذه التكاليف الباهظة.. فهناك من يقدر عليها.. وعلينا ان نتعلم منه دون خجل ودون عقدة نقص.. فما تفعله أمريكا تفعله بتيسير إلهى.. والله يمدنا عن طريقها.. والله لايستحى أن يستخدم العصاه كما يستخدم الطائعين فيما يريد.

والله يسخر الأباسلة والشياطين ويسخر الملائكة لمشيئته.

ولا يخرج فى الكون أحد عن مشيئته وإن خرج عن رضاه.

وعلى المسلم أن يفتح عقله وقلبه لكل جديد ولو جاء به الخصم الذى لايحبه ولايليق بالمسلم أن يغلق عقله بترباس التعصب وأن

يعيش أسير الأفكار سابقة التجهيز.. والقرآن نفسه لايحض على الأفكار سابقة التجهيز ولايحب الخضوع الأعمى للموروثات.. بل يأمر بإرسال النظر فى كل شيء.

نحن فى حاجة لهذه الروح فى فهم إسلامنا حتى نصبح أهلا للترقى على الدوام.. وأهلا لنزول النفحات.

يقول الحديث القدسى:

إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها

ولايكون المسلم أهلا لتلك النفحات إلابفيض من التقوى وانفتاح كامل من داخله.

وبدون هذه الروح الإسلامية الجديدة التى تسارع لاحتواء العصر سوف يكون البديل مؤلما.. سوف تبادر الجبهة العلمانية لإزاحة الدين عن الطريق باعتباره عقبة كؤودا فى سبيل التقدم كما حدث فى بداية عصر النهضة فى أوروبا وسيكون عندها عذرها.. فهذا الدين جعل منه أصحابه محضنا لتفريخ الرجعية والإرهاب والفكر المعوق..

وسوف تمتد الأيدى بالمعونات وبالمال وبالفتن من الغرب ومن أمريكا ومن إسرائيل لترجيح كفة تلك الفتنة العلمانية ولن يكون الصراع متكافئا.. وستنتصر العلمانية فى مصر بأسرع مما انتصرت فى أوروبا.

بدون هذه الروح الإسلامية الجديدة سوف تتحول مصر إلى تركيا ثانية.

إن البديل مؤلم ولامخرج منه إلابنهضة اسلامية حقيقية وروح إسلامية شابة تجدد شباب هذا الدين وتحيى أجمل مافيه وتطرحه على العالم فى كامل بهائه وسموه كعقيدة رائعة تعطى صاحبها نعيم الآخرة ولاتحرمه من طيبات الدنيا.

يامسلمى العالم لاتدعوا دينكم يضيعه الغوغاء.

وتماسكوا وترابطوا واتحدوا وقفوا وقفة رجل واحد ضد هذا التطبيع الذى لايراد منه سوى التركيع والتمييع والتضييع للوجه التاريخى والعربى والإسلامى للمنطقة بأسرها..

لاتطبيع بدون ضمانات..

لاتطبيع إلابعد جلاء آخر جندى إسرائيلى من الأرض العربية وإزالة المستوطنات وعودة القدس إلى فلسطين وفك الترسانة النووية من على حدودنا.

فلن يصلح ولن يدوم إلا سلام الكرامة.

ولن ينفع التراضى على نصف حق ونصف باطل.

ولن يجدى صلح على تربص.

ولن تلتئم جراح أغلقت على صديد.

وتلك دروس التاريخ.

أمريكائيل

إن المنطقة العربية واقعة برمتها بين فكى رحى.. بين القهر الأمريكى والمكر الإسرائيلى.. وأمريكا تستنزف كل دولار من مداخيل البترول فى المنطقة مقابل فواتير نفقات القواعد العسكرية التى نشرتها على أرض المنطقة بزعم حمايتها.. مليارات يدفعها العرب لحماية أنفسهم.. حماية أنفسهم من من؟!!.. ولاخطر إلا من أمريكا وإسرائيل..

وهم يصنعون «بعبعا» من ايران ومن صدام ومن الإسلاميين.. وهم خيال مآتة.. يضحكون به علينا.. لابتزازنا.. والذى ينفخ فى نار صدام.. وفى نار التطرف الإسلامى.. هم أنفسهم.. وهم الذين آووا الإرهاب وأنفقوا عليه.. والخطر الوحيد خطرهم..

والذى استنـزفنا حتى النخـاع.. هم الاخوة أمـريكا واسرائيل.. أ أو السـادة أمـريكائيل.. ومـاخطط الشرق أوسطيـة وأحلاف الأردن والعـراق وإسرائيل وتركيـا.. إلا أحلاف التطـويق والإفقار القـديم الذى كان اسمه حلف بغداد..

هل رأيتم قتيلا يتبرع بدمه لإنقاذ قاتليه

إن هذا القتيل هو (وللأسف الشديد) نحن

وما لنـا من عدو يخشى خطره إلا ذلك الذى احتضنـاه فى وجد وحنان بين أذرعنا.

٩

مسلمون كلاماً

نحن نشهد عصرا عجيبا لاتتورع فيه جهات القضاء من أن توجه المساءلة الى أعلى سلطة فى أمريكا وأوروبا فتتهم رؤساء فى كراسى الحكم بالرشوة والفساد وتقدمهم الى المحاكمة.. جميع الرؤساء فى اليابان من تاناكا الى مورياما اتهموا فى قضايا رشوة وعمولات واستغلال نفوذ.. العائلة المالكة البريطانية كلها ظهرت فى صحف الفضائح.. برلسكونى ومن قبلة جوليو اندريوتى وأربعة آلاف وزير ايطالى اتهموا باستغلال النفوذ وبعلاقات بالمافيا ورشاوى بالملايين.. كلينتون متهم حاليا هو وزوجته فى قضايا أراض وتهرب ضريبى.. ومن قبلة نيكسون أخرجوه من البيت الأبيض بقضية مشهورة.. زوجة ماوتسى تونج وعصابة الأربعة فى الصين.. وبيناظير بوتو فى باكستان.. ورئيس كوريا الجنوبية.. قدموا للمحاكمة ، ووقف الرئيس الكورى يعتذر للشعب عن جرائمه.. ستة وزراء سابقون فى الهند وثلاثة وزراء حاليون فى

حكومة ناراسيما راو مقدمون للمحاكمة الآن.. رئيس كولومبيا ارنستو سامبر مسجون حاليا بتهمة تعاطى أموال من عصابات المخدرات ومعه أكثر من الفين من كبار موظفيه.. رئيس بولنده أولكسى خرج من الحكم فى قضية تجسس لحساب روسيا.. رئيس البرازيل السابق.. ورئيس المكسيك.. حتى شيراك اتهموه فى شقة.. مجرد شقة..

وعلى النقيض من ذلك نجد فى شرقنا العربى السعيد نموذجا مثل صدام حسين سفاحا مجرما جرمه العالم كله.. نراه يتقدم للانتخابات فى بلده فيحصل على أغلبية ٩٩,٩٩٪ لم يحصل عليها خالق الكون جل جلاله حيما طرح على عباده خيار الايمان والكفر.. ونرى عيدى أمين فى أوغنده يقتل ثلاثمائة ألف من خصومه ويقدمهم طعاما للتماسيح وهو يدعى أنه مسلم وأنه يمثل المسلمين فى افريقيا.

هذا الجبروت الذى تحف به القداسة وتحرسه العصمة فلا يجرؤ صوت أن يرتفع ضده ولا قلم أن ينتقده ولا صحيفة فى بلده أن تمسه.. هذا النموذج الذى يفعل ما يشاء من إفك وظلم ولا يسأل عما يفعل.. لا يمكن أن نجد له مثيلا إلا فى العصور الوسطى .

ومثل تلك العصمة والقداسة تنزل دائما بأصحابها وتهبط بالبلد الذى تظهر فيه بينما ترتفع الحرية والنقد والمساءلة بأهلها وبلادها .

وحيثما توجد المساءلة توجد الديمقراطية ويوجد التقدم وتوجد النهضة ويوجد الاقتصاد المتطور والمفتوح .

وحيثما توجد ألوهية الحكام وعصمة الرؤساء يوجد الجمود

ويوجد التخلف ويوجد القهر والمذابح .. ويسود النفاق والمداهنة والشللية.. ويتخلف الاقتصاد.

والدول تتقدم وتنتعش وتعلو بقدر مافيها من مساءلة وبقدر سقوط الحصانة عن كبرائها وسقوط العصمة والتأله عن حكامها.. فلا أحد كبير على المساءلة ولا أحد فوق القانون.

والعصمة لله وحده وهو وحده الذى لا يسأل عما يفعل لأنه وحده الكامل الأبدى الذى لايموت.. أما نحن فكلنا نموت وكلنا أشباح زائلة تشيخ وتمرض ويحف بها النقص من كل جانب وكلنا من التراب بدأنا والى التراب ننتهى.. فكيف يسبغ أحدنا الألوهية والعصمة على نفسه.. وكيف تزدهر الأصنام الا فى أجواء الأكاذيب وعصور التخلف.

إن الذين ارتفعوا وتألهوا وأحاطوا أنفسهم بسياج العصمة.. كيف كانت نهايتهم..؟!!

أطلق هتلر على نفسه النار.. وابتلع جورنج وهملر وجوبلز السم.. وعلق موسولينى عاريا من رجليه.. وأخرج ستالين من التابوت الزجاجى الذى حفظ فيه وألقى به فى حفرة.

إن الزعيم الذكى هو الذى يتخطى بعينيه ضجيج الهتاف والتصفيق وبطانات النفاق والتسبيح من حوله وينظر إلى مابعد.. الى ماوراء كل هذا الهيلمان الكاذب الذى يصنعه الخوف والأطماع والمصالح.. إلى يوم موته وما بعده.. حينما يقول الله لهؤلاء.

« أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون » (٩٣ ـ الأنعام).

« ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء » (٩٤ ـ الأنعام)

هذا هو قرآننا..

وبلادنا العربية المسلمة أولى بهذا المفهوم الديمقراطى المستنير كيف سبقنا الغرب العلمانى الملحد الى هذا الفهم السليم للمسئولية والمحاسبة.. أم أننا مسلمون كلاما.. وهم مسلمون سياسة واقتصادا وأخلاقا.

إننا إذن نستحق ما نحن فيه.

وسنظل غارقين فيما نكره حتى نفيق وحتى نتعلم من أعدائنا ما نسيناه من قرآننا.

وصدق الله العظيم.. « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم» (٢١٦ـ البقرة)

فالبلاء يجرى على الأمم كما يجرى على الأفراد لتصحو وتفيق.

والله يمتحن الكل بالسراء والضراء ليربيهم.

ولا أحد يعفى من سنن البلاء.

وميعادنا جميعا مع الموت قاهر اللذات ومؤدب الملوك.

ولن يفلت من مؤدب الموت مخلوق.

واسألوا أنفسكم.. هل كانت حرب العراق وايران تقوم لو كانت هناك مساءلة جادة لصدام بصددها.. وهل كان يزج بشعبه فى مغامرة غزو الكويت ويتمادى فى جنونه وأمريكا تجمع عليه العسكر من كل جنس ولون.. وهل كان عبدالناصر يغلق مضايق تيران ويخوض حرب تهويش ضد اسرائيل بدون استعداد وبدون خطة.. لو كانت فى مصر ديموقراطية حقيقية ومساءلة ومحاسبة فى مثل هذه القرارات المصيرية.

وهل كان هتلر يلقى بجيوشه لتحارب فى جبهتين فى وقت واحد.. مع انجلترا وأمريكا وفرنسا غربا ومع روسيا شرقا.. لو كان مسئولا أمام برلمان ديموقراطى.

إن التاريخ كله كان يتغير ويكتب من جديد لو كان هؤلاء المغامرون قد وجدوا رجالا يتصدون لهم ويحاسبونهم.

ولكن الله تركهم لكبريائهم وعنادهم ووكلهم لأنفسهم ليعطيهم درسا.. وليعطى الشعوب كلها درسا.. ان الحكم لا يصلح الا اذا كان شورى.. وأنه سبحانه خلق الخلق شعوبا وقبائل لتتعارف لا لتتنازع وتتقاتل.. وأنه خلقهم أحرارا ولم يخلقهم عبيدا لبشر مثلهم.

والدرس مازال يتكرر ويعاد منذ ثمانية آلاف سنة.. ولا أحد يفهم.. والحروب مازالت مستمرة.. وقد فعل هتلر ما فعله نابليون من قبله وفعل صدام ما فعله نيرون وهولاكو وكاليجولا.. ويلتسين يفعل الآن ما فعله الجبابرة الغابرون.. والجنون مستمر.

لفت نظر

جاء فى صحيفة «يديعوت أحرونوت» الاسرائيلية أن عددا كبيرا من الشابات اليهوديات أعربن عن رغبتهن فى الزواج من «إيجال عامير» قاتل رابين.. ورأين فيه بطلا وطنيا ومواطنا عظيما يحترم القوانين اليهودية.. وهو رأى يعنى رفضهم الكامل لتمثيلية السلام العربى الاسرائيلى واحتقارهم لما يجرى بشأنها.

وقد سمعنا ورأينا ما جرى فى العيد اليهودى أمام الحرم الابراهيمى وشاهدنا ألوف اليهود يصفقون ويهتفون وينشدون أناشيد القاتل باروخ جولدشتين الذى قتل أربعين من المسلمين الراكعين الساجدين فى أثناء صلاتهم بالحرم الابراهيمى.

وفى تل أبيب شاهدنا صور القاتل باروخ جولدشتين معلقة فى المتاجر والمكاتب وصالونات الحلاقة فى أطر محلاة بالزخارف والورود.

وهؤلاء هم الناس الذين تسارع زعامات قطر ومسقط والأردن فى تطبيع العلاقات معهم وتفتح لهم وزارة الزراعة فى بلادنا أبواب أرضنا المصرية يفعلون فيها ما يشاءون فى تطبيع غير مشروط ويتدافع العرب الى مشروع شرق أوسطى وإلى انشاء بنوك وروابط اقتصادية.. الله وحده يعلم بما يترصدنا فيها.

فهلا وقف هؤلاء وقفة استبصار وتفكروا فى طبيعة هذا الشعب الذى تجمع بعد شتات وزرع القنابل النووية والترسانات الميكروبية والكيماوية على حدودنا.. ومازال يرفض الانسحاب من الأراضى التى احتلها ويرمى الجنوب اللبنانى بالقنابل والصواريخ ويغير عليه بالطائرات.. وفى كل شبر أرض تخلى عنه للفلسطينيين أحاطه بالعسكر.. وقد اتخذ من القتلة باروخ جولدشتين وايجال عامير مثلا عليا يقتديها .

إذا كانت هذه قلوب هؤلاء الناس فكيف نأمن لهم.. وكيف نسلمهم مصائرنا..؟؟!!!

والذين يقولون بأن الحكام فى اسرائيل يتصرفون بعقلية أخرى.. قولهم مردود.. فرابين كان يحمل للعرب نفس المشاعر العدوانية التى يحملها قاتله ولكنه كان يحاول أن يصل الى أهدافه بطريقة أذكى.

واذا كان الشعب فى اسرائيل غير راض عن تصرف حكومته .. فإن النظام فى اسرائيل ديموقراطى.. وسوف يأتى غدا رؤساء منتخبون يحكمون بما يرغب فيه هذا الشعب الكاره الرافض.. ويكون الوقت قد فاتنا وحدث المحظور..

والقول المتفائل بأن اسرائيل لا تستطيع أن تهيمن على المنطقة بحجمها الصغير وتعدادها المحدود هو أيضا قول مردود..

فإسرائيل لن تسود المنطقـة وحدها ولكنها ســوف تهيمن بالظهير الأمريكى الذى يمـدها ويساندها وبالتأييـد الأوروبى والغربى بلا حدود لأغراض نعرفها .

إن اسرائيل لم تكن أبدا وحدها فى أى لحظـة من أيام وعد بلفور إلى الآن .

ألا يستدعى الموقف بعض الحذر؟!!!

سؤال أطرحه على كل مسئول.

١٠

اللغة العبرية وأهلها

حلقة العلم والإيمان التى تحدثت فيها عن قدم اللغة العربية وأصالتها وانها اللغة الأم لكل اللغات أصابت المشاهدين بالدهشة وطالب الكل باعادتها وذلك لأن الشائع فى الأذهان بسبب الدعايات الصهيونية المكثفة ان اللغة العبرية أقدم والثقافة اليونانية أقدم.

وقد تعرض كاتبنا الكبير عباس العقاد لهذه الأكاذيب من قبل وقال إن جلاء الحقيقة لايحتاج إلى جهد وأن الذى يقرأ الأبجدية اليونانية فى السفرين الأولين من التوراة التى بين أيدينا اليوم فسوف يكتشف بلا عناء أن الأبجدية اليونانية هى نفس الأبجدية العربية بحروفها ومعانيها وأشكالها.. وهم ينسبون هذه الحروف إلى قدموس الفينيقى وهو فى كتاب مؤرخهم هيرودت.. أول من علمهم الصناعات.

والفينيقيون عرب نشأوا فى الخليج العربى فى بلاد النخيل وتحولوا إلى فلسطين وكانت مدينتهم القديمة باسم قرطاجة أو

قرتـاشة وهى تحريف كلمـة «قارة حداثـة» كما سمى اليونـانيون مصر جبتـــوس EGYPT أو قفط أو قبـط والقبط هنـــا لاتعنى النصارى.. فالاسم سابق على مجىء المسيحية.

ونظـرا لقـدم التـوراة بـالنسبـة لـلأنـاجيل اختلط الأمـر على الأوربيين فتصـوروا أن أسلافهم اليـونانيين سبقـوا الأمم إلى العلم والحكمـة وتـوهموا أن العبرانيين سبقوا العـرب ونسـوا أن تـوراة اليهـود نفسها صريحة فى القـول بحداثـة اسرائيل وان اسرائيل هى سبط يعقوب ويعقوب وأبناؤه يأتـون فى الترتيب بعد اسحاق وبعد إبـراهيم.. فـالعبريـة عمـرهـا أقل من أربعـة آلاف سنـة من حيث التاريخ وهى سلالة من اللغة الآراميـة (العربية القديمة) التى كان يتكلم بها إبراهيم.

وقد سكـن العرب الجزيرة العـربية مـن قبل أن يسموا عـربا.. وأرجح الأقـوال أنهم جـاءوا إلى الجزيـرة العربيـة مهـاجـرين من الحبشـة وباديـة الشـام وأعـالى العراق.. والحبشـة بأجماع الآراء كانت منـزل الإنسان الأول وفيهـا وجدت أقـدم الهياكل والجماجم البشرية.. منـذ ثلاثمائة ألـف سنة.. ومنها خـرجت أفـواج الانسان الأول التى تفرقت فى القارات.

وإذا كانت كهـوف تسيلى التى اكتشفت فيها الرسـوم الجدارية العجيبـة التى رسمتهـا ريشـة هذا الانسـان فى أوروبـا وفى شمال أفريقيـا وتاريخهـا يعود لأكثـر من ثلاثين ألف سنـة.. فان معنى وجـود هذه الفنـون المتطـورة أن المجتمعات الانسـانيـة كانت قـد نشأت منـذ هـذا التـاريخ البعيد.. ونشـأت معها بـالضرورة لغـة التفاهم والتخاطب.

واللسـان العـربى كـان ولاشك أقـدم الألسنـة.. وأقـدم تشريع مكتوب وهو تشريع حمورابى من ٤٤٣٠ سنة وهـو مكتوب باللغة الآرامية وهى العربية القديمة.

وغلبة اللغة الآرامية على اللغة العبرية القـديمة واضحة مما جاء فى الاصحاح ٣١من سفر التكوين الـذى يقول.. أنهم أخذوا حجارة وعملوا «رجمه» ودعاهـا لابان «يجر شهدوتا» وأما يعقوب فـدعاها جلعيد.. وقال لابان.. هذه الرجمة شاهدة بينى وبينك اليوم.

ومعنى «يجر شهدوتا» بالآرامية «حجـر الشهود».. وهى قريبة فى اللفظ والمعنى من اللغة العربية الحديثة.

وقـد غلبت الآراميـة على العبريـة فى المعـابـد والكتب الـدينيـة فترجمت إليهـا كتب التـوراة والتلمـود وكتبت بها بعض الأسفـار أصلا فى عهد عزرا ودنيال.. فلما كـان ميلاد المسيح كانت الآرامية هى اللغـة التى تكلم بها السيـد المسيح وأجـرى بها الخطاب بينـه وبين تلاميذه.. وفى الاصحـاح الخامس عشر.. صرخ يسوع بصوت عظيم.. إلوى.. إلوى.. لما سبقتنى (إلهى الهى لم تركتنى)

إن الآرامية بالفعل كانت عربية تلك الأيام.

وقد تعلـم اليونان الكتـابة وأخـذوا رسم الحروف من قـدموس الفينيقى العـربـى.. ولاحـاجـة بنـا إلى بـرهـان فأسماء الحروف اليونانية وأشكالها ومعانيها شاهدة على أصلها العربى سواء كانت فينيقية أو آراميـة أو يمنية من الجنوب.. فـالأبجدية يسمـونها عند اليـونـان «الفـابيتـا».. والمعنى واضـح.. ألف وبـاء وتـاء.. وهـذه الحروف لامعنى لها عنـدهم.. أما عنـدنا.. فنعلم أن الألف تـذكرنـا بلفظ الجلالة الله.. والباء.. البيت.. والجيم.. الجمل.. والعين بالعين.. والفـاء بالفم وهكـذا فهى عندنـا لها أصل.. أما فى اليـونانيـة فهم يكتبونها هكـذا نقلا وتقليـدا.. وهم يكتبونها من اليمين إلى الشمال كما نكتب.. وكلمة العسكر بـاليونانية عسكـرا.. والعريش لاريسـا.. والبرج بـرجـوس.. والكلمـة كـلامـوس.. والقـرطـاس كـريتـاس..

والسيرسيرا.. وقد حولوا أسماء الأيام إلى الترتيب العددى أسوة باللغة العربية والفيلسوف اليونانى القديم طاليس كان تلميذا للمصريين فى العلوم الرياضية.. كما درس أفلاطون الفلسفة فى جامعة أون بعين شمس بمصر..

ولم تلبث الفلسفة اليونانية الوليدة بعد جيل أو جيلين أن اصطدمت بالكهنوت فقتل سقراط وتشرد أفلاطون وقضى أرسطو بقية حياته فى عزلة وإهمال.. وحدث نفس الشىء فى أوروبا فى القرون الوسطى حينما اصطدم العلماء والفلاسفة بالكهنوت الكنسى فأحرق برونو وسجن جاليليو.. ولم يظهر فى القرون الوسطى فيلسوف أوروبى واحد فى الوقت الذى تألق فيه الفلاسفة والعلماء والأطباء العرب فى الأندلس وبغداد وظهر فيهم ابن سينا وابن رشد والرازى وابن الهيثم وابن النفيس وجابر بن حيان وغيرهم.

وظل موقف اليونان وأوروبا من الحضارة العربية موقف التلمذة والنقل.. إلى بدايات عصر النهضة.

وكان دخول اليونان فى المسيحية مرحلة أخرى من مراحل التلمذة الروحية على تراث الشرق العربى.. وأوشكت الفتوحات العثمانية أن تفتح بلاد اليونان لولا أن مؤشر التاريخ بدأ ينعكس إلى الغرب.

كان هذا حظ اليونان وأوروبا من التلمذة على الحضارة العربية فى القديم.. أما حظ مصر الفرعونية فيبدو من هذه الكلمات العربية التى ظهرت بنطقها فى الهيروغليفية القديمة.

وردة بالعربية	بالهيروغليفية هى	ورتا
زيت	»	زت
ماء	»	موا
جمل	»	كمل
موت	»	مت
حنيف	»	حنف
صابىء	»	صابى
بيت	»	بايت
بئر	»	بار
سحر	»	سحرا
أنت	»	أنتك
قد (مساوى)	»	دَدْ
حر (الظهيرة)	»	حر
مكة	»	بكة

وقد جاءت كلمة بكة فى القرآن بمعنى مكة بالفعل.

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » (٩٦ ـ آل عمران).

إن اللغة العربية تركت طابعها على العالم القديم كله.. فكيف نقرأ ونسمع من يقول فى اسرائيل أن اللغة العبرية هى اللغة الأم التى انحدرت منها كل اللغات.

كيف ؟!! وهى لغة حديثة عمرها أقل من أربعة آلاف سنة.. ولغة لقيطة ناقصة عدد حروفها ١٩ حرفا وبعد تطويرها زادت إلى ٢٢ فقط وعدد جذورها اللغوية الفان وخمسمائة جذر لغوى فقط بينما اللغة العربية الأم ٢٨ حرفا وجذورها ستة عشر ألف جذر

لغوى وهــى أغنى اللغات بـالاشتقاق وبعـدد الكلمات والمترادفات.. فكيف يأخذ الغنى من الفقير المفلس.. وكيف يأخـذ الأب العريق من أحفـاده المهـازيـل وقـد سبقهم قبل أن يـوجــدوا.. بل هـو بعض السخف الـذى نسمعه.. مثل قـول بيجن للرئيس الســادات.. نحن الذين بنينا الأهرام.. والسـخف الآخـر الذى سمعناه فى فيلم المهاجر من الاسرائيلى الـذى يقول للمصرى.. نحن الذيـن علمناكم فـلاحة الأرض.. كيف والمصرى هو ابن النيل وابن الوادى الخصيب.. وهو أول من أفلح الأرض فى العالم القديم..

ولكنهـا عقـدة العنصريـة وأوهـــام السيـادة وعنجهيـة التفـرد والتفوق فى كل شىءعند اليهود وقـد صاحبتهم هذه العقدة بسبب العصبية والعـزلة والحرص على عدم الاختـلاط وعلى نقاء الســلالة وعلى عدم التزاوج بالآخـرين الا لمصلحة ضرورية.. ولهذا تصوروا أن الله هــو رب خــاص بهم فهو إلـه بنى اسرائيل ســاهـر على بنى اسرائيل وحدهم.

وهم لضعفهم وقلة عـددهم كانوا يلوذون فى كل زمـان بالقبيلة الأقوى ويحتمـون بمصاهرتها من أعدائهم.. فهم فى سفـر التكوين انتسبـوا إلى الآراميين ولما نـزلـوا أرض كنعـان جعلـوا لغتهم لغـة كنعانية.. وقـال أشعيا وهو يتنبأ بغلبة قـومه على أرض مصر.. إنه فى ذلك اليـوم يكـون فى أرض مصر خمس مـــدن تتكلم الكنعـانيـة واليـوم هم يلـوذون بأمريكـا.. الـدولـة الاقوى بين دول العــالم.. ويسخرون ذكاءهم لخدمة أهدافها.

ولهذا قال القرآن أنهم هالكون لا محالة «الا بحبل من الله وحبل من الناس ».

وهى إشارة عميقة إلى حرصـهم الـدائم على اللواذ بالأقوى.. وان نجاتهم هى دائما فى ذلـك الحبل من الناس الـذى يمده الله لهم من وقت لآخر .

ولكن عنصريتهم وعصبيتهم ظلت تلازمهم .

«للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا » سفر التثنية

بل هم يحصرون العصبية فى أضيق حدودها.

« لا يتحول نصيب اسرائيل من سبط إلى سبط آخر بل يلازم كل وحد نصيبه كما أمر الرب موسى ».

ولا يمكن أن يخرج من هذه العنصرية ومن تلك العصبية القبلية أى عالمية أو أى رسالة إنسانية تدعو إلى خير عام للكل .

يقول أنبياؤهم عنهم.. أنهم شعب ثقيل الإثم.

وفى سفر التثنية.. أنهم شعب صلب الرقبة (من الصلف والعناد والكبر).

ولا تتسع هذه الحلقات من العصبية والعنصرية بل تضيق.. فهم فى البداية.. الصفوة المختارة من أبناء إبراهيم.. ثم تنحصر الصفوة فى أبناء اسحاق.. ثم تنحصر فى أبناء داود.

ومن أجل ذلك قالوا لا يكون المسيح المنتظر إلا من ذرية داود.

وظلوا إلى عهد الرسولين بطرس وبولس ينكرون على العبرى أن يتناول الطعام مع غير العبرى .

وهم ينكرون كل الانكار أن يتجه أى نبى بالهداية إلى الأمم من غير بنى اسرائيل.. فالهداية لا يجب أن تكون إلا لهم وحدهم .

لامقاسمة فى الخير مع أحد.. ولا مشاركة فى السيادة مع أحد .

ولما قامت لهم دولة أيام داود وسليمان لم تنهض معها ثقافة ولا حضارة وذهبت الدولة ولم تخلف أثرا من آثار الفكر والوجدان.

وقد ظلوا فى دور الشتات عالة على ثقافات الأمم .

وكان سر قوتهم فى تضامنهم وتساندهم.. فهم يتكتلون وراء

من ينبغ فيهم فيظهرونه بأكبر من حجمه لأنهم يملكون كل وسائل الشهرة والرواج والإعلان والدعاية.. فهم يملكون الصحافة ودور النشر وقاعات العرض وشركات التليفزيون والسينما والأقمار الصناعية والانترنت وبيوت المال والبنوك.. ولجان جائزة نوبل وغيرها .

وهكذا صنعوا من بيكاسو أسطورة.. ومن فرويد معجزة.. وهما أقل بكثير من ذلك .

وكان دورهم فى الثقافة العالمية دور المستغل والوسيط والممول والسمسار وليس دور العامل المنتج الذى يعطى ويخلق .

وقد احتكروا كل شىء حتى النعمة الإلهية التى جاءتهم من موسى فلم يحاولوا أن ينشروها بل احتفظوا بها لأنفسهم.. وكان ما أضافوه من عندهم هى علوم السحر والكابالا والشعوذة وعلوم الطالع والتنجيم.. وفى أخبار النبى صمويل أنهم كانوا يقصدونه ليدلهم على مكان الماشية الضائعة وينقدونه أجره على ردها.. فلم يحفلوا من نبوة صمويل إلا بفتح البخت وقراءة الطالع .

وتعترف التوراة أن موسى تعلم من النبى العربى شعيب (نبى مدين)

ويحكى التاريخ أن اليهود كانوا يحتكمون أيام موسى إلى حكيم عربى اسمه بلعام ولعله الحكيم لقمان .. ومن قبل أيام موسى كانوا يحتكمون إلى النبى العربى أيوب .

ويقول هنرى برستد وآرثر ويجال أن داود أخذ مزاميره من نشيد أخناتون الذى سبقه بثلاثمائة سنة.. وأن القبائل العبرية تتلمذت على هداة العرب نساكا ورسلا ومبعوثين وأن العرب فهموا رسالات السماء فهما أوسع وأرحب من فهم تلك القبائل الإسرائيلية لرسالات أنبيائها .

أمـا تركيـز القداســة فى أورشليم فهى شىء جـديد طـارىء لم يحدث إلا بعد أيام مـوسى بزمن طويل.. وهى الآن دعـوة سياسية أكثر منها دعوة دينية ومحاولة لخلق محور دينى لإسرائيل الكبرى.

يقـول فولتير عن اللغـة العبرية .. إنها لغـة بربـرية مـزيج من الفينيقيـة القـديمة والكلـدانيـة والكنعـانية والآراميـة.. وانها لغـة ســاذجة قليلـة الحروف نـاقصة التصريف ويبلـغ من فقرهـا أنها ينقصها الكثير من الأزمنة فى أفعالها .

وقـد اقتبست العبرية الجديـدة حـرف الغين من اللغـة العربيـة وأضافتـه إلى حروفهـا.. ولم يكن عندهم تمييـز بين الخاء والكاف فاضــافوا حرفـا اسموه الخاف على وزن الكـاف وكتبوه كما تكتب الكاف بعد حذف النقطة.. وليس فى العبرية..

ث ولا ذال ولا ضاد ولا ظاء

ولما هدم الرومان هيكل بيت المقدس اتخذ اليهود اللغة اليونانية لغة لهم فى مصر وأوروبا .

وتتلمـذ اليهود على العـرب فى علم الكـلام وفلسفـة اللاهـوت.. وكان ابن ميمـون بمثابة أرسطـو عندهم.. ولما قـال ابن ميمون أن وصـايا النـاصرى ورجل اسماعيل (يعنى محمـدا) علية الصـلاة والسـلام.. تهدى الإنسان إلى الكمال.. ثـار عليه المتعصبـون منهم ونبذوه .

ووضـع «ابن جبيرول » منظـومـــة فى النحـو العبرى على مثـال النحو العربى.

وقد انفـردت اللغة العربيـة بخواص شعـرية لا نظير لها فى أى لغة.. والشعر العربى وحده هـو الذى اكتملت فيه البحور والأوزان والقوافى فى مـازورات موسيقية وايقـاعات من النغم تأخـذ بشغاف القلوب .

ولكن العـرب سـقطوا لاجتمـاع الاسـتعمار الغـاشم عليهم ولانقسـامهم وتفـرقهم وتخلفهم.. وسـمعنا عبارات السخـريـة تقال .

لايفلح عربى إلا ومعه نبى .

لايحسن العرب من أمور المعـاش إلا رعى الإبل والماشية.. قالها جيرانفسكى فى خطبـة أخيرة فى موسكو.. وقـال : علينا أن نعيـدهم إلى الخيام من جديد .

وان لم يفق العرب إلى الأخطار والمهالك التى تحدق بهم وإذا لم يرتفعوا إلى مستوى المأسـاة المقبلة عليهم فإنهم سوف يعودون إلى مـا هو أسـوأ من الخيـام.. فقـد كانت خيـام الماضى.. هى خيـام الحرية والكرامة والاستقلال..

أمـا الغـد.. فإن مفـرمـة البـوسنـة.. ومحارق جـروزنى فى الشيشـان.. والمقابر الجماعيـة التى قبر فيها خمسة عشر ألف قتيل فى سربرنيتشـا.. هى الأمثلة الأقرب إلى روح العصر الغـادر الرهيب الذى نعيشه .

واتمنى أن تعيـد القنـاة الأولى للتليفـزيـون إذاعـة حلقـة العلم والإيمان عن (اللغـة التى تكلم بها آدم) فالخطـابـات والتليفونـات لاتنقطع طلبا لإعادتها ونحن أحوج ما نكون إلى نشر هذا الوعى .

إسرائيل تستعجل التطبيع

وزارتـا الخارجية والتعليم الإسرائيليتـان أعدتـا خطة مشتركـة لـزيادة التطبيع الثقـافى والتعليمى مع الدول العـربية وعلى رأسـهـا مصر والأردن وقطر والمغرب .

وتقـارير الموسـاد تقـول بأن الاحساس الشعبى فى مصر ضـد التطبيع وأن الجامعات المصريـة لا تشجع أى تطبيع ثقافى أو علمى مع اسرائيل وأن أغلب الكليـات لا تفكر فى دعـوة علماء إسرائيليين

إلى مؤتمراتها وان كلية العلوم بجامعة القاهرة رفضت هذا من قبل ومهرجان السينما المصرية أغلق بابه أمام السينما الاسرائيلية .

والكلام على أن مجلس الشعب الحالى سوف تطرح عليه مشروعات قوانين تساعد على زيادة التطبيع فى هذه المجالات وان هناك أملا فى تمريرها .. وان اسرائيل تأمل فيما هو أكثر.. فهى تسعى لتنظيم مؤتمر للاديان الثلاثة يحضره مسلمون ومسيحيون ويهود من دول مختلفة للعمل على حل عقدة الكراهية بين العرب وبينها .

وإسرائيل تقول إن هناك سلاما بين الحكومات ولا يوجد أى أثر لسلام بين الشعوب بل على العكس هناك رفض.. وهناك زعماء دينيون مازالوا يدعون إلى الجهاد وإلى كفاح الوجود الإسرائيلى .

والسؤال هو ماذا تريد اسرئيل بالضبط ؟؟!!

إن الحب بين الشعوب لايمكن أن يأتى بفرمان والكراهية لايمكن أن تمحى بقرار وزارى .

وما تريده اسرائيل بالاديان لخصه بيريز من قبل حينما قال انه يتمنى أن توحد الاديان الثلاثة قبلتها فتتجه كلها إلى بيت المقدس.. ولم يقل لنا لماذا لايتجه اليهود إلى الكعبة التى بناها إبراهيم.. لماذا يكون التنازل من جانب المسلمين وحدهم.. فيتنازلون عن كعبتهم لارضاء السيد بيريز .

ان عقدة العنصرية اليهودية والسيادة والرياسة مازالت تتحكم فى كل تصرف تسلكه اسرائيل.. إننا أمام نازية جديدة.. وجنس مختار من نوع آخر يريد أن يسود ويفرض شروطه ..

وإذا كانت اسرائيل تمد يد الصداقة إلى جميع دول المنطقة ولاتريد من التطبيع إلا إنعاش وازدهار كل دول الجوار.. فكيف نفسر حكاية الجاسوس الذى أرسلته الموساد عبر سيناء ليتجسس ويجمع الأخبار ويوزع الهيروين.. وتفاصيل قضيته واعترافاته تنشر كل يوم بصحفنا القومية ..

هل نشر المخدرات فى مصر هو الإنعاش الاقتصادى الذى تخطط له اسرائيل .. وهل هذه هى يد الصداقة الممدودة .

أريد أن أفهم .

١١

معركة السلام

قوبلت الاتفاقات المبدئية للسلام بين العرب واسرائيل بفرحة مسترخية وتفاؤل عريض واحتفالات ومصافحات ولقاءات عبر الهواء والفضاء والأقمار والصحف وحفاوة مبالغ فيها من الأطراف العربية والأمريكية وكأن المشكلة انتهت وجنة اللبن والعسل فتحت أبوابها.. والهموم انزاحت من الصدور.. ولاخوف بعد اليوم.. وهى سذاجة وتسطيح اعلامى يزيف الحقيقة. فالسلام القائم حتى الآن لايعطى العرب الا قسطا قليلا من الأرض والمياه والحقوق والأمن ويبقى فى يد إسرائيل أكثر تلك الحقوق.. وهو فى مقابل هذا القليل يفتح أبواب اقتصادنا وثرواتنا لعدو تاريخى يستأسد علينا بترسانات ذرية وكيميائية وميكروبية وأسلحة ضاربة متفوقة يضعها على حدودنا بتأييد وسماح من أكبر وأقوى دولة فى العالم «أمريكا» وهى التى لاتسمح لنا ولالغيرنا بشىء من تلك الأسلحة ولاحتى من باب الظن والوهم

ونراها تضرب الحصار على ليبيا وعلى العراق وعلى كوريا الشمالية وتطارد باكستان فى أقصى الأرض على وهم أن عندها شيئا من تلك الأسلحة.. وتفتش فى البحر والبر والرمال بحثا عن ابرة أو فتلة أو أثر يوهم بوجودها.

هذا التحيز المخيف لاسرائيل ولمصالح إسرائيل من طرف رئيسى فى المفاوضات ومن ضامن وحيد لهذه الاتفاقات هو أمريكا وحلفاؤها يجب أن يشعرنا أن تلك الوثائق التى نوقعها فرحين مستبشرين متهللين هى مسكنات ومهدئات وملطفات مرحلية يجب أن نأخذها بالحذر اللازم ونتعامل معها بالحكمة الواجبة..

واتوجه لوزير دفاعنا المشير طنطاوى أن يأخذ هذا السلام بوزنه الحقيقى وينظر اليه فى حجمه الحقيقى ولاينخدع بالمحفل الاعلامى والفبركة الاخبارية والزيطة العالمية ويتابع مايجرى على الخريطة على الأرض حيث تساوم إسرائيل على المتر الذى تتخلى عنه وكأنها تقطعه من لحمها فهى تنظر إلى الأرض الفلسطينية التى تردها على أنها أكثر من أرضها.. على أنها لحمها وهى تملأ الأراضى التى تتنازل عنها بخوازيق المستوطنات.. ومايجرى على أرض الواقع لايريح.. ولكنه يدعو إلى الحذر والاحتشاد للمستقبل.. فالسلام القادم ليس وليمة لبن وعسل بل معركة باردة للهيمنة والتسلل والاستيلاء على المقدرات الاقتصادية للمنطقة.. ثم وضع المنطقة كلها تحت سيف الارهاب الذرى والتخويف الأبدى من الترسانة النووية والتفوق العسكرى الاسرائيلى.

إن رابين وقف فى الكنيست ليتنصل من القول بأن الاتفاق الاسرائيلى الفلسطينى مقدمة أو بداية لدولة فلسطينية.. وقال فى آخر تصريح له قبل مقتله إن مفاجأة حرب أكتوبر لن تتكرر وأن إسرائيل لن تدخل حربا خاسرة بعد اليوم.

إنه رغم هذا التفوق العسكرى ورغم أسلحة الدمار الشامل التى يملكها ورغم المساندة العسكرية والسياسية الأمريكية من أكبر قوة حليفة.. كان على حذر وكان يقول إن إسرائيل يجب أن تظل على حذر من جيرانها وأنها يجب ان تفتح عيونها على آخرها حتى لايأخذها أحد على غرة.. فماذا نقول نحن وماذا يقول جيرانها الضعفاء المعزولون بلا معين.. ماذا يقولون وهم الأولى بهذا الحذر.. والأولى بأن يتحدوا والأولى بأن يسندوا بعضهم بعضا وأن يستعدوا وأن يأخذوا هذا السلام بوزنه الحقيقى بعيدا عن الضجيج الاعلامى وبعيدا عن البشارات العريضة التى تتناقض مع النذر الواردة فى جميع الكتب السماوية الثلاث.. بأن إسرائيل ستعلو ثم ستدمر نفسها..

أليس هناك ألف سبب وسبب لنفتح عيوننا على آخرها ونزن كل خطوة تخطوها إسرائيل بميزان العقل ولانكون ذلك الحمل الوديع الذى يفتح باب الحظيرة للذئب ويدعوه لأكلة برسيم شهية.. يصلح بها خصومات الماضى القديم.

ولقد دعوناهم فى شرم الشيخ على مائدة عالمية فانقلبت القرارات العالمية نارا ودمارا على لبنان ودعما لاسرائيل وتشجيعا لها على حصار الفلسطينيين والتنكيل بهم وتجويعهم وترويعهم.. وقد جعلوا من كل فلسطينى يكافح الاحتلال ارهابيا يحل قتله.. وتلك أخلاقهم.. وهذا دأبهم.. فكيف نأمن لمعاهداتهم.. وكيف ننام على مواثيقهم.

وكيف ننسى.. وتحت الرمال أسرانا الذين أعدموا فى مجازر سيناء.. لم تبل عظامهم بعد..

إننا مازلنا نتعامل مع أعداء تاريخيين يريدون استئصالنا.. وكل مايقال عن السلام أكاذيب.

الصين

الصين هى الكعبة الجديدة والقبلة التى تحج إليها وفود الدول الغربية وسفراؤها ووزراء خارجيتها ورؤساؤها.

إنها الآن أكبر سوق استهلاكى لبيع السلع وأكبر مجال مفتوح للاستثمارات وأكبر بورصة للفرص وللمشروعات الضخمة والمغامرات المالية العملاقة.

والصيحة الجديدة بين دول الغرب الآن هى.. اقفز إلى القطار الذاهب إلى الصين.. ولايهم أن تكسب اليوم أو غدا فمستقبلك مضمون وأموالك سوف تعود إليك مضاعفة.. فقط.. لاتضيع الفرصة.

والصين قارة كبيرة غنية بكل شىء.. البترول ، المعادن ، الخامات، الأرض الخصبة، الأنهار، الأيدى العاملة الرخيصة (أكثر من ألف مليون) حوالى ربع التعداد السكانى للعالم كله.

وسياسة دنج شياو بنج الانفتاحية الذكية التى خلعت الثوب الشيوعى فى هدوء وحطمت الجاكتة الجبس التى كانت تسجن الاقتصاد فى شعارات «ماو» الفارغة.. فعلت كل هذا دون أن تقع فى الخطأ الروسى القاتل الذى هدم المعبد على من فيه.. فلم تغير الشعار الاشتراكى بل قالت فى مكر دبلوماسى إن هذه هى اشتراكيتنا المثلى كما نراها بمنظارنا نحن.. وهكذا فتحت الباب لأكبر قفزة رأسمالية فى التاريخ ولأكبر تطوير حضارى.. تحت نفس الشعارات القديمة.. وبنفس الأشخاص.. وبنفس الزعامات..

وهو نفس مافعله السادات ولكن على نطاق أكبر وأشمل وأوسع.. على نطاق قارة بأكملها.. وكانت النتيجة.. أعلى نسبة من التنمية فى العالم.. (بلغت النسبة فى إقليم جواندونج عشرين فى المائة).. وهو رقم أسطورى.. للعلم نسبة تسارع التنمية فى أمريكا

وأوروبا متوسطها أربعة فى المائة.. وجواندونج مجرد إقليم فى جنوب الصين إلى جوار هونج كونج عدد سكانه ٦٥مليونا.. وهناك عشرات الأقاليم غيره معدل تسارع التنمية بينها حوالى ١٤٪.. ومعنى هذه النسب العالية.. أن الصين بعد سنوات قليلة أقل من أصابع اليد الواحدة سوف تصبح أكبر قوة اقتصادية فى العالم.. وسوف تتراجع أمريكا وأوروبا إلى الوراء لتصبح منطقة وسطى متواضعة بين العملاق الصينى وبين الدول النامية.

ولهذا لايستغرب ذلك الغزل بين الساسة الأمريكان وبين الصين منذ أيام نيكسون.. وذلك التقرب والتودد رغم ملف حقوق الانسان السيىء الذى لم يكن يعجب بوش.. ولاغرابة فى أن نرى كلنتون يتغاضى عن هذا الموضوع ويلحس الملف القديم فى مقابل علاقات اقتصادية أوثق وأسواق جديدة أكبر وشركات أمريكية تدعى إلى الوليمة الصينية.

لقد أصبحت الصين هى الأمل الوحيد لعلاج البطالة وإصلاح ميزان العجز التجارى فى أمريكا وأوروبا.. ورأينا إسرائيل ترابط على أبواب بكين.. بل وتسرب إليها من باب الرشوة أسرارا تكنولوجية أمريكية.. تثور بسببها أمريكا وتهدد وتتوعد.. لكن إسرائيل تعلم أن تعاظم القوة الاقتصادية الصينية معناها تعاظم القوة السياسية.. وهى تخطط لتدخر لنفسها حليفا قويا فى المستقبل.

أين مصر فى هذا السباق المحموم؟!..

لقد زار الرئيس مبارك الصين ولكنه قطع زيارته وعاد مسرعا بسبب الزلزال.. وأرجو أن تتكرر الزيارة على مستويات رئاسية ووزارية.. وعلى مستويات لجان متخصصة.. إن الأمر جد خطير.. ومصلحة مصر تستدعى توسيع العلاقات مع هذا العملاق الآسيوى الذى سوف يغير خريطة القوى فى العالم.. ليس بعد قرن

من الـزمـــان.. وإنما فى حيـاتنـا.. وفى الأمـد القـــريب المشهـود.. والمصلحة تستدعى منا أن نقفـز فى قطار الصين السريع.. فهناك فى تلك القارة الهائلة يجرى أسرع تطور حضارى عرفه العالم.

الفتح الإسلامى الثانى لأوربا

ســوف يكتب التاريخ أن الاســلام لم يدخل أوروبـا فى غزوتـه الثانية.. بسيف ولابمدفـع.. وإنما بسيرة عطرة وكتاب.. أما السيرة فهى لـرجل منـاضل ومـارد من مـردة التنويـر اسمـه على عـزت بيجوفتش.. والكتاب كتابه.. الإسلام بين الشرق والغرب..

رجل وقف مع صحابته يصد عن أوروبا حرب الكراهية وسهام الحقد المسموم وحملات التخلف التى شنتهـا صليبية غبية.. ثلاث سنوات يحارب وحده لتظل كلمـة لا اله إلا الله وراية الحب والرحمة والعدالـة والحرية.. هى راية أوروبـا وليس راية الجاهليـة وشعار أسود الغاب.

وبينما كان الاسلام يبعث من جـديد فى أوروبا.. كان يختنق فى مـوطنه وفى بـلاده فى أوحـال الارهـاب والفتن وفى حرب مخابـرات أجنبية وفى شباك عنكبوتية وســلام مريب تصنعه أمريكا وإسرائيل لتدخل المنطقة كلها فى ادغال ليل طويل.

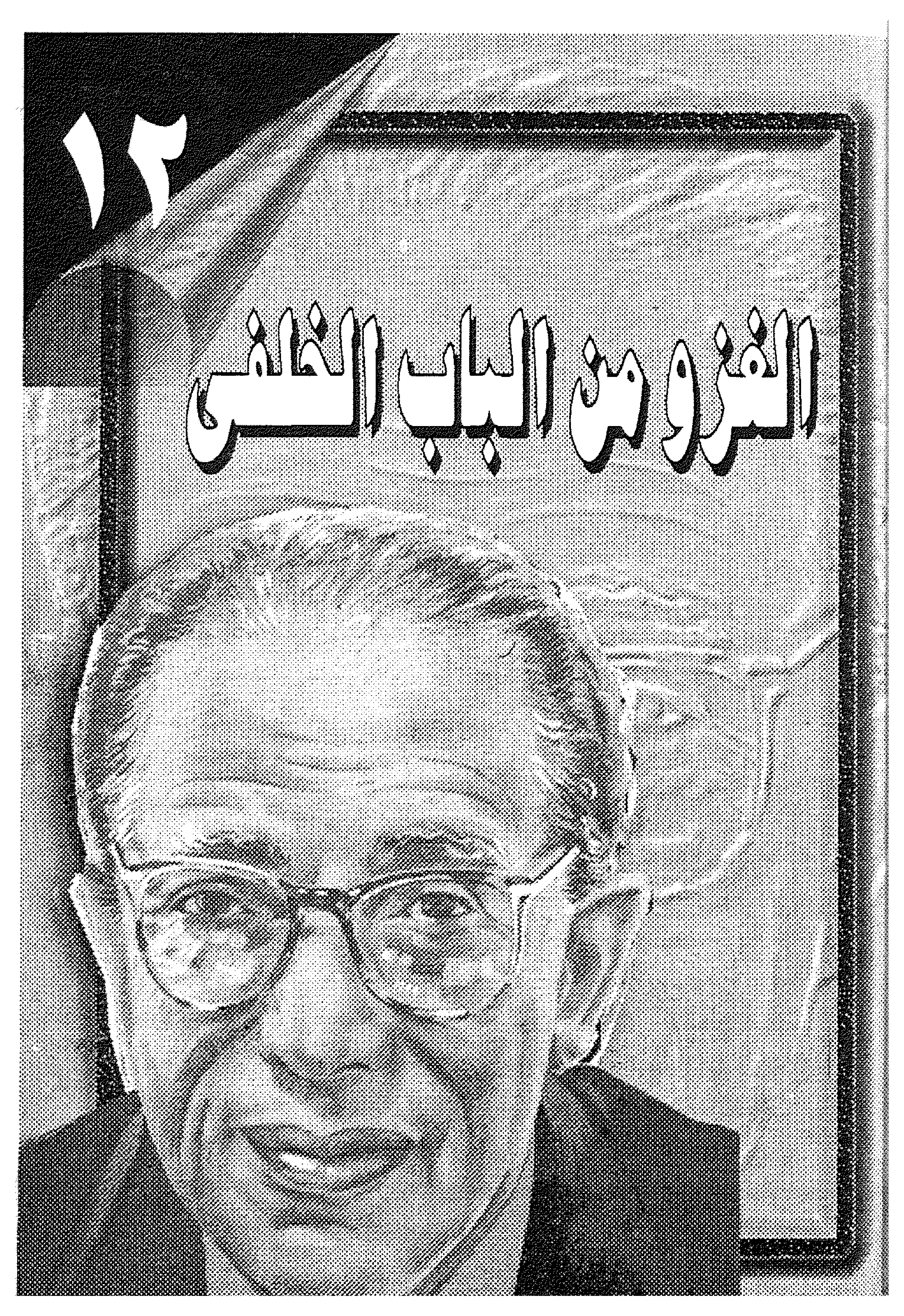
وســوف يكتب التاريخ أن هـذا الليل الطويل قـد اخترقه الفجـر رغم كل شىء وأن كلمة لا اله إلا الله قـد سادت رغم كيد الكائدين.. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون.

هكذا كتب الله فى الأزل

« لأغلبن أنا ورسلى »

« وإنَّ جندنا لهم الغالبون »

ولايملك التاريخ الا ان يسمع ويطيع فليس للكون مالك آخر غير رب العالمين..


١٢
الغزو من الباب الخلفى

الـذى يتأمل ما حـدث للشـارع فى موسكـو ومـا حدث للنـاس وللسلوكيـات العامة ولطمـوحات المواطن الـروسى العادى يكتشف أن الهزيمة فى روسيا وصلت إلى النخـاع وأن المواطن الروسى خلع الثـوب السوفيتى وخلع الأيـديـولوجيـة السـوفيتية ولبس الثـوب الأمـريكى والتفكير الأمـريكى والطمـوحـات الأمـريكيـة.. الجينـز والهامبورجـر والمكدونـالد والـديسكو والعـربات الفـارهة والعنف والمافيا والقتـل من أجل الدولار.. والنسـاء الروسيات خلعـن لباس العمال الخشن ولبسن لباس الإثارةِ والسكـس والرقص فى الحانات لما بعد الفجر ومضغ اللبان والمجاهرة بالشذوذ.

غـزو ثقـافى كـامل.. وركـوع للقيم الأمـريكيـة.. وعبـادة للنمط الامريكى.. وتسبيح للإله الأمريكى.. صاحب الجلالة الدولار.

ومثل هذا الغزو حدث بدرجات متفاوتة فى كل مكان من العالم.

وكـانت السينما الأمـريكيـة والأفلام الأمـريكيـة والمسلسـلات

الأمريكية هى رأس الحربة فى هذا الاختراق الذى وصل الى قلب باريس على ظهر «الديزنى لاند» الفرنسية لدرجة أدت الى قلق الحكام الفرنسيين وأدت بالرئيس الفرنسى الى التصريح بضرورة فرض قيود على دخول الفيلم الأمريكى خوفا على القومية الفرنسية والهوية الفرنسية.. بل وعلى اللغة الفرنسية التى تدهورت على لسان رجل الشارع وخالطتها الألفاظ الانجليزية والنطق الأمريكى والخنافة الأمريكية..

هناك إذن حالة من العامية الأمريكية والسوقية الأمريكية تنتشر ببطء فى أوروبا.. وتتسلل عبر الحواجز لتصل الى آسيا وتغزو الهند والفلبين وتايوان واندونيسيا والدول النامية وتصطدم بسور الصين العظيم، فلا تستطيع اختراق القومية الصينية.. وفى الصين يحدث العكس، يمد العملاق الصينى يده ليسرق أغلى ما فى أمريكا.. التكنولوجيا والكمبيوتر.. ويأخذ من حرية التجارة ومن اقتصاد السوق بقدر مصلحته.. ثم يرفض الباقى ويغلق على نفسه الأبواب.. وتفعل اليابان نفس الشىء، ويتطور الاثنان الى عملاقين.. كل واحد محصن داخل قوميته ويقف منتصبا فى مواجهة أمريكا ليقول.. أنا هنا..

والصين هى العملاق القادم الذى سوف ينافس أمريكا على القطبية.. وأمريكا تحسب لها من الآن ألف حساب.

أما أفريقيا فلا وجود لها على خريطة المنافسة.. واستراليا مجرد كوكب تابع لشمس الغرب..

أما شرقنا الأوسط السعيد فكله ملفوف بالراية الأمريكية المتعددة النجوم.. تقوده بالقروض والمعونات وبعصا اسرائيل.. وهو مخترق من القمة الى القاع..

وقلاع العروبة والقومية والوحدة سقطت كالأشباح بهزيمة

عبدالناصر.. والرمز الوحيد الباقى الذى يقاوم هذا الغزو الأمريكى/ الاسرائيلى المكتسح هو الاسلام..

والاسلام بطبيعته غير قابل «للأمركة» وغير قابل للتهويد.. وهو خصم غير هين..

وكانت الحيلة الأولى للتغلب على الاسلام هى تشويهه بإلصاق تهمة الارهاب والإجرام بكل ما هو اسلامى بدءا بمفجرى المركز التجارى الأمريكى.. وانتهاء بإمداد هذا المسلسل الدموى بالجديد من الانفجارات كل يوم..

وانكشفت الحيلة حينما اتضح أن الشيخ عمر عبدالرحمن كان يتقاضى مرتبا شهريا من المخابرات الأمريكية.. وأن كل الارهابيين كانوا يتلقون التمويل من أرصدة بالخارج.. وأن الارهاب كله مصنوع.. وأن عصاباته مستأجرة ومجندة.. وأنه صناعة أجنبية صهيونية مائة فى المائة..

وكانت الحيلة الثانية هى الالتفاف حول الإسلام ومحاولة إضعافه بإضعاف اللغة العربية التى هى وعاء الدين ووعاء القرآن، بحجة تطوير مناهج التعليم وإصلاح التعليم والنهوض بالتعليم..

وقد نجحوا كثيرا وحققوا الكثير فى هذا الباب.. وضعف اللغة العربية الذى أصبح واضحا بين شباب المذيعين.. وطغيان العامية فى الشعر.. وسوقية الأغانى.. وضياع النطق العربى السليم.. كلها شواهد على ذلك..

ولكن المعركة لم تحسم بعد..

وسوف تشهد السنوات القادمة هجوما مركزا على الدين ذاته وعلى التربية الدينية وعلى الإعلام الدينى وعلى القيادات الدينية وعلى اللغة العربية.

وسوف تلجأ الصهيونية الى وسائلها القديمة.. اشاعة الانحلال ونشر المخدرات والجريمة والعنف والفيلم الهابط والفن الداعر والاعلام المخرب.. وتهديد كل من يكتب فى حرية بتهمة المعاداة للسامية والتشجيع على الارهاب..

وسوف نرى مزيدا من الكتب التى تعلى من شأن القيم الدنيوية وتكرس المادية وتروج للعلمانية·وتشكك فى الدين وتهزأ بالغيب.. وسنرى نماذج من الحفاوة بأمثال سلمان رشدى ونسرين تسليمة ونصر أبوزيد..

والغزو الثقافى سوف يتضاعف بريادة سينما أمريكية مهيمنة تبث قيمها الهابطة فى كل مكان..

والتطبيع سوف يحقن إسرائيل تحت الجلد ويحقن المكر الاسرائيلى فى الماء والهواء والغذاء الذى نأكله، وفى الاقتصاد الذى نزاوله، وفى التخطيط الذى نباشره، وفى العقلية التى نسوس بها أمورنا..

وبيوت الخبرة الأمريكية التى دمرت الاسكندرية بفتوى صرف مجاريها فى البحر.. مثال حى سوف يتكرر فى كل مشروع وفى كل تخطيط مستقبلى، إذا فتحنا الباب للأيدى الاسرائيلية لتعمل معنا وتفكر لنا.. بحكم التطبيع بلا تحفظ.. والثقة بلا حدود..

إن اسرائيل التى أخرجت لغتها العبرية البائدة من القبر، وتدثرت بها لتصنع لها هوية وقومية وإرثا تاريخيا من العدم، لن تكتفى بأقل من السيادة والهيمنة.. لأنها وجود مختلق مصطنع لايمكن أن يستمر فى الحياة إلا اذا امتص الحياة من كل ما حوله.. والخمسة ملايين يهودى إما أن تذوب فى الستين مليون مصرى وهذا مستحيل (لأنها ضد الذوبان والانعدام) واما ان تحاول أن تفكك هذه الملايين الستين الى شظايا بالمكر والفتن.. وهو ما سوف

يحدث.. ولايوجد احتمال ثالث.. والذين يتصورون أن التطبيع فتحة خير.. ينظرون بدون أعين ويفكرون بدون رؤوس.. والبعض من أصحاب رؤوس الأموال وأصحاب الأحلام فى ثراء سريع ومشاريع مشتركة، هؤلاء الذين فرحوا بالتطبيع لا يرون الا المصالح العاجلة تحت أقدامهم ولا يرون خطر الاحتواء الأمريكى الإسرائيلى على المدى البعيد، ولا يشهدون الخراب الذى يخطط لبلدهم..

والسد الوحيد الذى يقف أمام هذا الطوفان الذى يدق على الأبواب هو الروح الدينية فى المنطقة العربية وفى مصر بالذات.. والدين فى مصر هو الذى شيد الأهرام وشيد معجزة الكرنك.. وهو الذى انتصر على التتار وقهر الصليبيين، وهو الذى عبر القنال فى حرب أكتوبر.. وهو وراء موقف التحدى الذى وقفته الملايين من المحجبات رغم المغريات المضادة ورغم التليفزيون والسينما ورغم الموجة العلمانية التى مازالت تحاول أن تكتب على الماء وتنقش على الرمال.. والكل يشاهد ما يجرى فى صلوات العيد وكيف تمتلىء الميادين فى مصر بملايين الراكعين الساجدين المسبحين..

الدين فى مصر حقيقة راسخة.. اسلاما ونصرانية.. وكلاهما ضد اسرائيل.. ويخطىء الحاكم الذى ينسى هذه الحقيقة ويصدق كلام العلمانيين الذى ينصح بالمزيد من التطبيع والمزيد من التطويع والتركيع..

والذين يهرولون الى الحضن الاسرائيلى يهرولون الى حتوفهم..

ولا توجد مصالحة بين الوجود الاسرائيلى الذى جاء بالغزو والاغتصاب، وبين الاسلام.. فكل منهما يرفض الآخر وبشدة..

والإسلام ضد القيم الدنيوية الانحلالية وضد عبادة المال

وضد حياة الغواية والشهوات التى تروج لها الأفلام الأمريكية والغزو الثقافى الغربى والمبادىء التلمودية..

ومع ذلك فالإسلام أبعد الأديان عن التزمت والتشدد، فباب التوبة والاستغفار مفتوح للخطائين طوال العمر الى لحظة الحشرجة.. والقرآن يقول لهم إن الحسنات يذهبن السيئات.. وأن التيسير فى كل شىء هو الأصل والحلال فى كل شىء هو الاصل.. وأن الحرج والتشدد مرفوعان عن المسلم.

والتوبة فى الإسلام تمحو كل شىء حتى الكبائر.. حتى الشرك تجبه التوبة والإنابة..

والضرورات فى الاسلام لها اعتبار، والظروف لها اعتبار.. فأكل الميتة مباح للجائع اذا لم يجد أى وسيلة أخرى لسد جوعه..

وهكذا فتح الإسلام الباب للعقول لتفكر وتجتهد دون تحجر ودون تشدد.. ولم ينصب المشانق والمحارق لأحد كما فعل البابوات لعلماء العصور الوسطى..

ولم يضيق الاسلام على المرأة بل وسع عليها والمرأة أيام الرسول كانت أكثر حرية منها الآن.. وكانت تخرج للحرب، وكانت تعمل بالتمريض، وكانت تجلس للفقه وكانت تشتغل بالقضاء وكانت شاعرة وأديبة..

والإسلام شمل بعدله وبره المسلم والمسيحى واليهودى والمجوسي، وامتدت مظلة رعايته لتحتضن الجميع.. وهو لم يحارب من هؤلاء الا من حاربه.

والإسلام دين المستقبل ودين الديمقراطية والحرية والتعددية.. وأى مشروع حضارى لا يستلهم الإسلام وعطاءه لن ينجح فى بلادنا ولن تمتد له جذور فى شعبنا المصرى..

وقد فشل مشروع البعث العراقى/السورى، وفشل المشروع

الاشتراكى الناصرى، وفشلت الوحدة العربية التى استلهمت القومية العربية لأنها لم تستلهم عطاء الإسلام..

وسوف تتحطم إسرائيل الكبرى على صخرة الإسلام.

ولن ينجح الغزو الثقافى فى إدخال إسرائيل الى القلوب.. فماذا تصنع الكلمات والأغانى والأفلام.. فى السر الذى وقر فى الأرواح وملأ الأفئدة وأضاء ظلمات النفوس، إنها لا أكثر من رسوم على الماء ونقش على الرمال..

وهى لا أكثر من ضباب يتبدد عند شروق شمس الوعى وعند أول ترنيمة المنادى.. الله أكبر..

أمــور مخجــلة

الدكتور مصطفى الرفاعى أستاذ جراحة المسالك البولية بطب الاسكندرية وهو أيضا أديب ذواقة وكاتب صاحب رؤية اجتماعية ومغرم بالشاعر الكبير أحمد شوقى.. يشترى كل ما يطبع من دواوينه.. يلفت نظرنا الى اكتشاف..

يقول الدكتور إنه لاحظ مصادفة ان الديوان الذى أصدرته المكتبة التجارية سنة ١٩٧٠ لشوقى جاء أقل خمسين صفحة من الطبعة الأصلية التى أصدرتها مطبعة الاستقامة فى القاهرة سنة ١٩٥٠.

وبتقليب الصفحات فى فضول اكتشفت أن هناك سبع قصائد قد حذفت بكاملها وأن هناك ١٥ قصيدة أخرى شطب منها الناشر ٢٤٤ بيتا وبقراءة الأبيات المحذوفة والقصائد المحذوفة اكتشفت أن الناشر حذف جميع الأبيات والقصائد التى فيها ذكر للأسرة المالكة أو ذكر للدستور أو ذكر لحرية الصحافة.. ومعنى ذلك أن الحذف كان بيد الرقابة .. وأن التعليمات أيامها (وهى أيام عبدالناصر) كانت ألا يأتى ذكر للأسرة المالكة ولا للدستور

ولا لحرية الصحافة.. والأدهى من ذلك.. يقول صاحبنا أنه يوجد الآن فى الأسواق طبعتان حديثتان للشوقيات واحدة أصدرتها مكتبة مصر والثانية أصدرتها مكتبة التربية ببيروت، وكلتاهما صورة طبق الأصل من الطبعة المشوهة التى حذف منها أكثر من ستمائة بيت.. ومعنى ذلك أن تراث هذا الشاعر العظيم فُقد وتعرض للحذف والتشويه..

وهناك قصائد كاملة اختفت مثل.. قصيدة محمد على الكبير.. والخديوى اسماعيل.. والجامعة.. والسلطان حسين كامل.. ودمعة وابتسامة.. وعلى يد الله.. وتهنئة (بمناسبة الكوليرا).. أما القصائد التى حذف منها ٢٤٤ بيتا فهى كثيرة.. منها مشروع ٢٨ فبراير.. والى عرفات الله.. والأزهر.. وفى سبيل الهلال.. وعيد الفداء.. ونكبة بيروت.. وفى وداع فاروق.. والعلم والتعليم.. وياشباب الديار..

وشهيد الحق.. وتوت عنخ آمون.. والصليب الأحمر.. والمؤتمر الجغرافى..

ويعقب الدكتور على هذا التشويه قائلا:

هل هناك مهانة أو تخلف مثل ذلك؟!

وأنا أرى يا عزيزى الطبيب أنها أكثر من مهانة.. فهى جهالة وسوقية.. فالثروة الأدبية التى تركها شوقى ليست ملكا لعصر ناصرى ولا إرثا لاتحاد اشتراكى، وانما هى ملك للتاريخ، وهى عهدة فى رقبة وزارة الثقافة ووزارة التربية والتعليم والجامعات المصرية، ووزارة الإعلام واتحاد الناشرين ، وكل مسئول عن الحرف العربى.. ولا يجوز السماح بهذا العبث، ويجب أن تُسحب النسخ المشوهة من المكاتب ويعاد طبع ديوان شوقى الحقيقى كاملا، كما فى طبعة ١٩٥٠ التى طبعتها مطبعة الاستقامة..

إن أى تغن بالحرية وبالدستور هو شرف لمصر، وشرف لكل مصرى ، وشهادة لكل عصر ولكل ذوق ولكل عقل يفهم.. والشاعر حر فيما يكتب.. والأبيات المحذوفة روعة.. وهى صروح مجد لتاريخنا.. وهى فوق ذلك تراث لشاعر عظيم.. هل فعلت انجلترا مثل هذا لشكسبير، أو فرنسا لموليير، أو ألمانيا لجوته، أو ايطاليا لدانتى، أو أسبانيا لسرفنتز؟!

إنهم على العكس ينقبون عن سطر مفقود وعن مسودة مهملة لهؤلاء العظماء، ليضموها إلى متاحفهم.

وكلمات عابرة كتبها موليير وهو مخمور لساقية فى حانة.. تباع بمليون فرنك.. انهم يقولون لك.. على هذا السرير رقد بيتهوفن.. وعلى هذا المكتب كتب سيمفونياته.. وفى هذا الطبق كان يأكل.. ومن هذا الكوب كان يشرب.. وبهذا القلم الرصاص كان يخط مسوداته..

وأسأل نفسى دائما.. ماذا بقى من اشتراكية ستالين واشتراكية تيتو، واشتراكية ناصر؟..

لقد أصبحت جميعها سياسات بائدة تحاول شعوبها أن تتخلص منها.. أما شوقى فهو أغنية خالدة.. سوف تظل مسافرة عبر الحدود لتغازل كل الآذان فى كل وطن يتكلم العربية.. وسوف تترجم بعد ذلك لتخاطب كل العقول..

وكان الزعيم العظيم سعد زغلول يقول لشوقى: سوف نمضى نحن وتنتهى مواكبنا.. وتبقى أنت تسكن كل القلوب...

وقد صدق ...

١٣

سمفونية الحب و الفداء

الله يقول لنا فى قرآنه

﴿ أينما تولوا فثم وجه الله ﴾

ومعنى الآية أن الله ظاهر فى آياته وفى صنعته وفيما يجرى علينا من أقداره.. وأكثر من ذلك أنه يتجلى بوجهه فى كل شىء من الذرة الى المجرة.. يراه العارف فى جناح الفراش وفى ريشة الطاووس وفى تغريدة الطائر وفى ابتسامة الوليد وفى تفتح البراعم وفى إشراقة الفجر وفى وشوشة البحر وفى رقراق النسيم.. وهو فى كل تجلٍ جمالى يقول.. الله .. الله.. ما أجملك.

والصوفى العارف يهتف مناجيا ربه.

ملأت كل الكون عشقا فما أعرف قلبا خاليا من هواك

والصوفية معرفة وحب شامل يحتضن الكون وصانعه.

ودين الصوفى إعجاب وإكبار وانبهار واستغراق وعشق متجدد يحتضن بين ذراعيه الحانيتين كل شىء.

بى منك شوق لو أن الصخر يحمله.
تفطر الصخر عن مستوقد النار .
قد دب حبك فى الأعضاء من جسدى.
دبيب لفظى من روحى واضمارى.

وأخلاق الصوفى هى الرضا بكل ما يجرى عليه من أقدار فكل مايأتى به الله جميل.

فإن شئت واصلنى وان شئت لاتصل.
فلست أرى قلبى لغيرك يصلح.

يقول شهاب الدين السهروردى:

كل صبح وكل إشراق أبكى عليكم بدمع مشتاق
قد لسعت حية الهوى كبدى فلا طبيب لها ولا راق
غير الحبيب الذى شغفت به فإنه رقيتى وترياقى

وحينما قتل كان يقول فى حشرجة الموت:

قل لأصحابى رأونى ميتا فبكونى إذ رأونى حزنا
لا تظنونى بأنى ميت ليس ذا الميت والله أنا
أنا عصفور وهذا قفصى طرت عنه فتخلى رهنا
لا ترعكم سكرة الموت فما هى إلا انتقال من هنا
ما أرى نفسى إلا أنتم واعتقادى أنكم أنتم أنا

هكذا يبلغ التوحيد ذروته.. فكيف تقتلنى وأنت أنا.. وكيف أوذى نملة وفيها منى.. والنفس الرحمانى سار فى الوجود كله.. والكون كله حى لأنه قائم باسمه الحى فكيف تمتد يد أحد بالعدوان على أى شىء.

ولاتمام للدين إلا بهذه اللمسة الصوفية وهذه الذروة العرفانية وهذا الحب الذى فاض فاشتمل الكون كله.

والدين عندنا ليس مجرد إقرار.. بل شهود.

يقول المسلم أشهد أن لا اله إلا الله.. ولا يقول أقر.

وفارق كبير بين الشهود والإقرار.. الشهود رؤية ومعاينة وذروة يقينية.

إنه المعنى الباطن فى تلك الآية.

﴿ أينما تولوا فثم وجه الله ﴾.

هنا شهود لوجه الواحد فى ذلك العرض الكونى المتعدد فى شتات الصور والمشاهد.

هذا السر الذى ينكشف للمؤمن هو لب الإسلام وجوهره وبه تصبح الصلاة نجوى وصحبة وحضرة وأنسا.. ويصبح الواحد فى معية مع الواحد والخلق كلهم فى معية مع الحق.

أين هذا من تدين أهل هذا الزمان فى عالم الكراهية الذى نعيش فيه.. حيث لا يرى كل واحد إلا نفسه ومصلحته وحيث تشتبك المصالح وتتنازع المنافع ويقتتل الإخوة وتضيق الأرض على سعتها ولا يرى الواحد لأبعد من أنفه.. وحيث الصلوات مجرد حركات والتسابيح همهمة من الخناجر والصدقة رياء.. وحيث اليهودية صهيونية ومسيحية الغرب صليبية وحيث حقيقة الدين استعمار واغتصاب وقتل وتشريد وإبادة.

الجامعة الأمريكية

ومثال لهذا التعصب المقيت ما روته جريدة الأخبار منذ أيام عن طالب الماجستير بالجامعة الأمريكية الذى دخل الى قسم التحقيقات بجريدة الأخبار وراح يوزع استمارات استفتاء يطلب فيها الاجابة على هذه الأسئلة.. ما رأيك فى إذاعة أذان الصلاة فى الإذاعة والتليفزيون هل توافق على ذلك.. وهل توافق على إذاعة الأحاديث النبوية عقب الأذان وهل توافق على استمرار برامج العلم والإيمان

وأحاديث الشيخ الشعراوى فى التليفزيون.. إلا يؤدى ذلك الى إحساس غير المسلمين بالغربة.

والسؤال عجيب فلماذا يشعر غير المسلمين بالغربة وبإمكانهم الانتقال الى سبعه محطات أخرى بمجرد لمسة زرار يختارون منها ما لذ وطاب من التسالى والأخبار والمسلسلات الأجنبية والرقص والطبل والزمر والإذاعات الأجنبية وأفلام الكاسيات العاريات.

لماذا يصورهم لنا الأستاذ الماجستير بأنهم مضطهدون محرومون لا يجدون أمامهم إلا العلم والايمان والشيخ الشعراوى مما يؤدى بهم الى الاكتئاب والغربة.

وأسئلة أخرى يسألها الأستاذ الماجستير طبعا بتوجيه من أستاذه الأمريكانى.

هل توافق على حجم الجرعة الدينية المتخصصة بالصحف اليومية والمجلات الأسبوعية.. ألا ترى أنها تسهم فى إثراء روح التطرف بين الناس (ومعلوم أنه لا توجد فى مصر جريدة واحدة تدعو الى التطرف) فالمقصود إذن هى أى جرعة دينية وأى كلام عن الاسلام.. وهذا أمر غير مرغوب فيه من طالب الماجستير ولا من أستاذه الأمريكانى.. فأى دعوة اسلامية أو أذان أو حديث نبوى فى التليفزيون أو تفسير لقرآن هو تشجيع للتطرف وحض على الارهاب.

وسؤال آخر أعجب.. ماذا تسمى المقاتلين فى الشيشان.. هل هم مناضلون أم ارهابيون.

(حتى مسلمو الشيشان فى عرف الأستاذ يجب أن يضربوا حتى الموت وتحرق ديارهم ومدنهم ولا يثورون) وإلا كانوا ارهابيين.. وثورتهم عند الأستاذ محل تساؤل..

وسؤال آخر .. لماذا عادت موضة قراءة المصاحف فى وسائل

المواصلات العامة.. ألا يعد ذلك إحراجا لمشاعر غير المسلمين.. تلك الروح الاستفزازية.. والأسئلة التى تتهم كل بادرة اسلامية حتى الأذان فى التليفزيون وتلاوة الحديث النبوى.. بأنها أشياء باعثة على التطرف باعثة على اكتئاب وغربة الأجانب الغلابة المساكين.

ماذا نقول نحن يا طالب الماجستير حينما يدير الواحد منا فى غرفته بالفندق فى أوروبا أو أمريكا زرار التلفزيون فتنزل على الشاشة أربع أو خمس محطات تذيع العملية الجنسية بأوضاعها وتفاصيلها.. وحينما نفتح جرائد الصباح فنقرأ شتيمتنا ونفتح المجلات فنقرأ عشرات المقالات التى تسب الاسلام والمسلمين ونرى المجلة تنصح السياح الذاهبين الى مصر بإلغاء حجوزاتهم لأن فى مصر كوليرا وملاريا ودوسنتاريا وسل رئوى ومياه مخلوطة بالمجارى.. ساعتها لم يكن الواحد منا يشعر فقط بالغربة وإنما بالرغبة فى العثور على جحر ضب ليختفى فيه.

شىء من الحياء يا سادة.. ويا أساتذة كبار فى جامعة عريقة مثل الجامعة الأمريكية.. نعتز بها ونعتز بإسهاماتها الثقافية.. وأتساءل أنا بدورى.

هل أصبح أمرا عجيبا مثيرا للتساؤل.. أن تكون هناك ساعة من مائة وستين ساعة أسبوعية من البرامج التليفزيونية المنوعة مخصصة للبرامج الدينية.. ساعة واحدة أو ساعتان.. وفى بلد اسلامى.. وهذ الحصة الهزيلة تصبح هدف استفتاء وتساؤل واتهام من الأساتذة الأمريكان.. ومثار تأفف.. لأن هذه البرامج تشعرهم بالغربة.. طيب ما يغيروا المحطة.. ويريحوا أنفسهم ويريحونا.. والحمد لله مائدة التليفزيون عامرة بما لذ وطاب من الاذاعات الإنجليزية والفرنسية.. وبكل ما يشرح صدر الأجنبى من صنوف الرقص والباليه والاستعراض والأغانى.. أم أنه الغيظ

الكامن والحقد الذى لايطيق صوت مؤذن يقول.. لا إله إلا الله..

ولكنى أعود فأقول بأن التحالف الأمريكى الاسرائيلى هو المسئول.. وهو الذى أحاط المنطقة بسياج من الكراهية ووصم كل ماهو اسلامى بوصمة الارهاب وأثار المسيحى على المسلم وزرع الفتن واشترى الذمم واستأجر البعض على البعض الآخر واستنزف كل الاحتياطى الدولارى العربى وكل الثروات البترولية العربية فى حرب الخليج وزرع قواعده العسكرية فى المنطقة لتبقى الى الأبد ولم يكتف بهذا وإنما هو الآن يحاول أن يقتلع جذور الاسلام من الأرض العربية كلها بغزو ثقافى وتسلل ايديولوجى بطىء فى محاولة تدريجية لتتريك المنطقة وتحويلها الى تركيا أخرى.

ولن ينجح هذا التحالف الأمريكى الاسرائيلى فى أى من تلك الأهداف ولكنه سوف ينجح فقط فى أن يصبح شيئا كريها.. وكابوسا عدوانيا.. يتكفل التاريخ بإزالته.

سوف يفشل هذا التحالف لأن هناك سورا وسياجاً عاليا اسمه.. الاسلام.. لن يقوى على تحطيمه.. لأنه سياج ربانى.. ولأنه نبت الحب والفداء والاستشهاد.

ولأنه الحق..

والحق لا يقوى عليه باطل.

والحب لا تقوى عليه كراهية.

ويعود بنا الحب الى أول المقال.. والى نفحات الهوى الصوفى وأنوار المعرفة.. والى ذروة الدين وتمامه.. والى شهاب الدين السهروردى القتيل.. والى سيمفونية الشعر والى نافورة الحنان التى تقطر بالدم والعطر والى الشوق الآتى من وراء القبور.

أبدا تحن اليكم الأرواح ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم والى لذيذ وصالكم ترتاح

وارحمتا للعاشقين تكلفوا ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء البائحين تباح
وإذا همو كتموا تحدث عنهم عند الوشاة المدمع السحاح
هى خمرة الحب القديم ومنتهى طلب النديم فنعم ذاك الراح

وخمرة الحب القديم هى نشوة النفوس بمخاطبة ربها فى الأزل.. تلك المخاطبة التى ذكرها القرآن فى سورة الأعراف « الآية ١٧٢ ».

﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم.. قالوا بلى شهدنا ﴾..

(ويسميه الصوفية.. بيوم « ألست »).

ويقول شهاب الدين السهروردى عن هذا اليوم:

أقسمت بيوم « ألست» فى القدم.
مازلً الى غير هواكم قدمى.
قطعى عن الأغيار والسوى صلتى.
وفى وجودى بينكم عدمى.

فهو يرى حياته فى الدنيا بين الأغيار عدما.. ويحلم بيوم العود الى ربه والرحيل عن هذه الديار.

أقول لجارتى والدمع جارى ولى عزم الرحيل عن الديار
إلى كم أجعل الحيات صحبى إلى كم أجعل التنين جارى
وكم أرضى الاقامة فى فلاة وفوق الفرقدين رأيت دارى

إنه يرى الدنيا وكرا للثعابين ومسكنا للحيات والأفاعى.. وهو يحلم بالعودة الى بيته فوق الفرقدين فى عنان السماء.

والى من يريد أن يقرأ المزيد عن هذا الشهاب الدامى فعليه بكتاب الدكتور يوسف زيدان مؤرخ الصوفية وعالم المخطوطات القديمة.. شعراء الصوفية المجهولون.. والكتاب طبعة دار الجيل

إصـــدار بيروت.. وفيه المزيـد عن هـذه القمم الشـــوامخ.. نافـورات الحب والعطر.. وينابيع التدين الصافى..

وما أحوجنا لهذه اللغة الهامســة لهذا الدين الجامع الذى يؤلف ولا يفرق ويبشر ولا ينفر ويصالح ولا يخاصم ويداوى الجراحات ويمحو العـداوات ويؤاخى بين الأبيض والأحمر والأصفـر والأسود فلا يتفاضل فيه الناس إلا بالتقوى.

الدين الـوحيد الـذى ضم فى عباءتـه كل الأديان وجـاء ليخاطب العالمين.

ولكن هناك من لا يريـد أن يسمع صوت.. لا إله إلا الله.. ويقول إن صوت الأذان يشعره بالغربة.

فماذا نملك من أجله؟؟!!

وهل نحن مطالبون بأن نطفىء له الشمس ليرتاح..؟؟!!

١٤

دراويش المادية

تصلنى أحيانا من القراء تعليقات جادة وتساؤلات حول مقالاتى الأخيرة.. والبعض يلتقط عبارات من كتب قديمة صدرت لى منذ ثلاثين عاما محاولا أن يشهد الناس.. كيف كنت منذ ٣٥عاما كثير الشك ثم أصبحت مؤمنا.. ياله من تناقض وجريمة لاتغتفر لمفكر.. ويبدو أن المفكر الأمثل عندهم هو قطعة رخام لاتنتقل من مكانها. أو مستنقع آسن لايتجدد ماؤه . أو حياة خاملة راكدة آلية لاتتطور.

ويتصور الواحد منهم الفضيلة والذمة فى أن يكتشف الكاتب خطأه فلا يصححه ولايرجع عنه.

ويتصور الكمال فى العجرفة الفكرية والجمود والتعصب والثبات ولو على الخطأ (مادام هذا الخطأ فى صالحهم).

ولو كنت مؤمنا تحولت إلى الإلحاد لأخذونى بالأحضان. ولقالوا هذا هو المفكر الشريف بحق.. هذا هو رائد النقد الذاتى.

ولكن لما كان نقدنا لذواتنـا على غير هواهم أصابهم عمى الألوان فرأوا الأبيض أسود، ورأوا الفضيلة رذيلة، والذمة خيانة.

ولقـد حارب خـالـد بن الـوليد ضـد الاسـلام بشراسة وأنـزل الهزيمـة بـالمسلمين فى أحد.. ثم آمـن وحمل لواء الـدعـوة وأصبح سيف الله المسلول، فلم يقل أحد إنه رجل متناقض بلا مبدأ.

وحارب عمـر بن الخطاب الدعـوة الإسلامية فى بـدايتها بضراوة ثم اعتنق نفس الدين الذى سبه وسفهه وحاربه. فلم يشكك أحد فى إيمانه ولاف صدقه ولاف ذمته.

والإنسان فى شبـابه منـدفع بطبيعته، يـؤمن بالسـاذج البسيط الـواضح الملمـوس أمـامه، ولهذا فهـو يستريح إلى الماديـة والفكـر المادى، لأنها لاتطـالبـه بشىء غير الموجود أمـامـه. فهى تبـدأ من القـريب المحسـوس ولاتتجـاوزه ـ ولاتجهـد الـذهن استخـلاصـا للحكمة من ورائه.. بل إنها لاتعتقد فى وجـود حكمة.. لاشىء سوى المادة التى تتطور تلقائيا بقوانينها الجدلية الخاصة.

والمفكر المادى لايحاول حتى أن يسأل نفسه من الذى وضع فى المادة قوانينها الجدلية هذه.

وهو يرفض الدين لأنه غيبيات.

وهو نفسه غارق فى الغيبيات إلى أذنيه.

بل إن العلم نفسـه الـذى يتشـدق بـه ويحتكم إليـه غـرق فى الغيبيات هو الآخر.

العلم يتكلم عـن الالكترون على أنـه حقيقـة.. ولم يـر أحـد الالكترون.. ولانعلم عن الالكترون سوى آثـاره.. أما الالكترون ذاته فهو غيب.

وبـالمثل الموجـة الـلاسلكية لانعلـم عنها إلا آثـارهـا فى عمـود

الإرســال وجهــاز الاستقبــال.. لم يــر أحــد تلك الموجــة الأثيريــة ولم يعرف أحد كنهها.

بل الكهربــاء ذاتها هى الأخرى طاقــة لاشك فيها ومع ذلك فهى مجهولة الهوية تمامــا.. ولانعرف عنها إلا مجموعة آثارهــا الظاهرة من حرارة إلى ضوء إلى حركة إلى مغناطيسية.

فإذا قلنــا لهم إن الله بالمثل عــرفناه بــآثاره وإن هويتــه غيب لم يعجبهم كلامنا.

بل إن المفكر المادى يقول فى جرأة عجيبة.. «فى البدء كانت المادة ثم تطورت المادة إلى كافة صور الحياة والفكر» وكأنه كان موجودا لحظة بداية الخلق متربعا فى كرسى بلكون يتفرج على ميلاد الدنيا.

هــو يتــكلم عن غيب ويبــدأ من غيب.. ولا يملك إلا افتراضــات واحتمالات ونظريات.. ثم يتهمنا نحن بالغيبية.

وهؤلاء هــم دراويش المادية لاوسيلــة لإقناعهم لأنهم لايــريدون اقتنــاعــا.. وإنما هم اختــاروا الجمود العقــائدى وتشنجــوا عليــه، واستراحــوا إلى مــافيه من تبسيط مخل وتلخيص ســاذج للحقــائق الكونية..

وليس أبعث للــراحة من اعتقــاد الإنسان أنــه لامسئوليــة هناك، ولابعث ولاحساب، وأن له أن يفعل مــايشاء لارقيب عليه ولاحسيب سوى البوليس والمخابرات.

ومثل هذه العقيــدة المادية أقــرب إلى قلب الشباب المنــدفع الذى يريد أن ينطلق على هواه بلاضوابط، وبلامساءلة.

وليس صـحيحــا أن الفكــر الإلـحادى المادى هــو الــذى أعطــانــا حياتنا المتقــدمة بما فيها من قطارات وعربــات وطائرات وصواريخ وراديو وتليفــزيون.. فهــذه الأشياء هى عطــاء العلم.. والعلم تراث

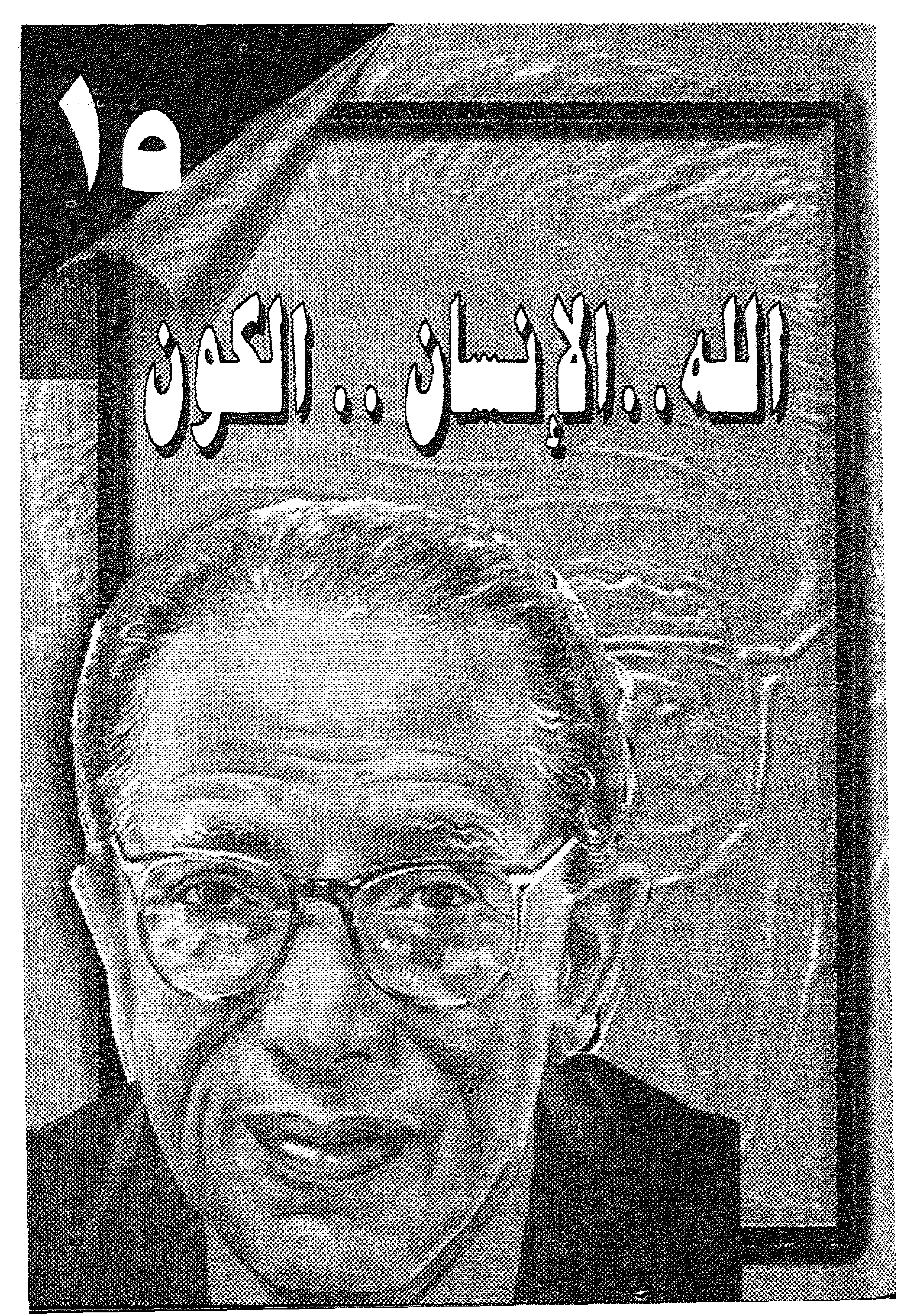
متاح للكل.. ولامـذهب له.. يطلبه رجل الدين كما يطلبـه رجل الفكر من يمين ويسار.

كان العلم يرفع راياته فى مصر الفرعـونية الوثنية كما كان يرفع راياته فى صدر الإسلام.

العلم تــراث بشرى لايستطيع أحـد أن يــدعى ملكيتـــه وليس صحيحا أن الدين يناقض العلم.

ودينا يأمر بالعلم فى أول آية من القرآن «اقرأ».

أمــر صريح بـالعلم والتعليم فى أول حـرف نزلـت به تعـاليمنـا السماوية. والعلماء عندنا هم ورثة الأنبياء، وهم فى القرآن فى درجة الملائكة (شهـد الله أنه لا إله إلا هـو والملائكة وأولـو العلم). والذى يتصور تناقضــا بين الدين والعلم لايعرف ما الـدين ولا ما العلم.. وإنمـــا هـو يـريـد ان يختلق لنفســـه مبررا للـرفض. ومـا أسـهل الرفض.


١٥
الله.. الإنسان.. الكون

ما هو الانسان..؟ !

هل هـو مجرد الصـورة التى تـراهـا لنفسك حينما تنظـر فى المرآة.

هل الانسان هو مجموع ما فيك من شحم ولحم وعظم وأحشاء ومجموع ما تتألـف منه من عناصر ومركبات ومـا ينطوى فيك من غرائز ورغبات وما يعشش فى عقلك من هواجس وخيالات.

هل هو مجموع المنظور والمحسوس والملموس فيك.

لا أظن أن هذا هو أنت.

هـذا هـو مـايظهـر لك ولى ولأجهـزة التصـويـر والاستشعـار المختلفة.. هذا هو مجرد الجانب الشهودى منك.

أما حقيقتك فهى فى «العمق» .. فى الجانب الذى يخفى عنا وعنك وعن جميع أجهزة الإستشعـار وجميع وسائل الحساب المعـروفة.. هى فى الجانـب الغيبى فيك .. فمن هـذا الجانب يأتيـك المدد لكل

مايظهر ومايتجلى فى أفعالك.. وفيه تفسير الكتاب الجامع الذى إسمه «الانسان».

الانسان يتضمن غيبا خافيا إسمه «النفس».

ونفسك كانت موجودة قبل تتلبس بجسدك وقد استدعاها الله من ظهور أجداد أجدادك قبل أن يظهر لك أب وأم وقبل أن تأتى إلى رحم أمك من خلية ملقحة.

«وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى»

لقد نطقت نفسك ساعتها بدون لسان وشهدت على نفسها بدون جسد وعرفت ربها بدون مخ..

وهذا هو أنت.

ومعنى ذلك.. أنه كان لك حضور غيبى وكانت لك شخصية غيبية كما أن لك شخصية مشهودة هى التى نراها الآن..

ولاعجب فى ذلك فأنت فى الأحلام ترى بدون عينين وتتكلم بدون لسان وتسمع بدون أذن وتمشى بدون أرجل وأنت فى الأحلام تسافر إلى بلاد لم تطأها بقدمك ولم ترها بعينك فيخيل اليك أنك تعرفها من أمد بعيد.

وفى الأحلام تتحدث إليك الشياطين والملائكة.. وفى رؤى الأنبياء يكلم ربنا أنبياءه.. وفى رؤى الناس العاديين تتحدث إليهم نفوسهم الأمارة بما تشتهى.. فكل الأحلام أحاديث.. كل نفس تتحدث على مستواها.. ولهذا سماها ربنا فى القرآن «الأحاديث».. يقول ربنا ليوسف الصديق «وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث» (٦ ـ يوسف) فيسمى جميع الأحلام أحاديث.

والنفس طرف مشترك فى كل تلك الأحاديث.

وهى تتحدث بدون لسان وترى بدون عين وتسمع بدون أذن.

وهى تسافر بدون مواصلات.. وتطير بدون أجنحة فترى الأم

إبنها فى أمريكا مريضا طريح الفراش.. دون أى مقدمات لهذا الخبر.. وذلك أيضا علم بدون معلم ورؤية لغيب محجوب.. فيلزم من كل هذا أن نقول أن الإنسان وجود غيبى وليس مجرد وجود مشهود وأن له نفس تستطيع أن ترى وتسمع وتتنقل بذاتها.. وذلك هو اللغز الذى اسمه «النفس».. أما الروح التى هى نفخة الله فى الطين لتقوم تلك النفس من العدم فذلك غيب آخر.. والانسان كل هذا.

ومجىء النفس بأخلاق معينة وشخصية معينة بخيرها وشرها يدل على ثبوتية اختيار لتلك النفس فى حال عدمها.. حينما كانت مجرد أحد الممكنات.. وذلك غيب ثالث أشد غموضا وأكثر إلغازا.

ولذلك يحاسب الله النفس على إجرامها وشرها لأنه لم يخلقها مجرمة ولم يجعلها شريرة وانما هى قد اختارت الشر وأضمرت الاجرام منذ الأزل.. وقبل أن يعطيها الجسد لتفعل ولاتفعل.

يقول ابن عربى « أن التشخص أزلى» وأن النفس كان لها ثبوتية وصف وثبوتية اختيار منذ الأزل حينما كانت مجرد «أحد الممكنات»

هناك إذن ثلاثة مستويات من الوجود .. مستوى عالم الامكان قبل الخلق ثم الاستدعاء الربانى للوجود.. ثم ملابسة الجسد الذي نعرفه بمواصفاته ثم النفخة التى جعلت منك ماأنت عليه.

ولانعرف من هذه المستويات إلا المستوى الجسدى.. وحتى هذا لانعلم عنه إلا القليل.. أما النفس وحالها فى عالم الامكان.. والنفس حينما استدعاها ربها وألبسها حلية الجسد.. ثم النفخة الرحمانية وأسرارها.. فكل هذا غيب مطلسم بالنسبة لنا..

وذلك حظنا القليل التافه من المعرفة لأقرب شىء إلينا.. الإنسان.

وهذه نفسك..

فكيف تدعى معرفة نفوس الآخرين.

وكيف تدعى الاحاطة بالكون.

وكيف يأخذك الغرور بعلمك فتنسى ربك الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك.

فهلا سجدت لله حياء واستغفرت.

الله ..

لايكتمل إيمان المرء حتى يدرك أن كل مايحدث له من خير وشرهو شفرة يقول بها الله شيئا وهمسة يهمس بها فى أذنه.

وإن يكن الميكروب هو الذى يُمرض فى الظاهر فان الله هو الذى أرسل الميكروب وكلفه بما فعل فى الحقيقة فلا شىء يحدث فى الكون خلسة من وراء خالق الكون .. وطفيل الملاريا فى فم البعوضة جاء مكلفا .. والسقف الذى انهار على السكان فعل ذلك بميقات معلوم وكان من الممكن أن ينهار والبيت خال من سكانه ولكنه فعلها وهم نيام فقتلهم فى ميقات معلوم ولم يقتل الرضيع فى حضن أمه لحكمة مراده .. واللبيب هو من يفهم الاشارة ويلتقط العبارة.

والمرض سجن وهو أحيانا سجن مؤقت وأحيانا سجن طويل وأحيانا سجن مؤبد .. والسجين الملهم هو الذى يعرف لماذا أصدر الله أمرا بسجنه ولماذا خفف عنه الحكم ولماذا عفا منه .. فالخلية السرطانية لاتنشط إلا بأمر من ربها ولاتتوقف إلا بأمر آخر منه .. والجينات التى تحكم الخلية هى مجرد أسباب ظاهرة.. ولايعلم أحد إلى الآن لماذا يكمن الجين وينام ولماذا يصحو ويدمر ومتى يفعل هذا ومتى يفعل ذاك؟

والمؤمن يرد كل شىء إلى مشيئة ربه ويراه ممسكا بمقاليد كل شىء ويرى بيده حركات الذرة والمجرة والفلك الأعظم ومافيه ومن

فيه.. ويراه المريد الأوحد فوق إرادات كل المريدين.. ويرى مايجرى عليه من مقادير.. رسالة خاصة.. وشفرة يخاطبه بها.. ويرى كل شر يصيبه.. فى باطنه خير.. وكل بلاء ينزل به فى مضمونه حكمة .. إن لم تظهر الآن فسوف تظهر غدا أو بعد غد.

ذلك هو الله الرحمن جل جلاله الذى قال .. سبقت رحمتى غضبى.

الكون ..

هذه الثلاثية كان لابد منها.. «الله والانسان والكون».. ليكون هناك معنى للدراما الكبرى التى تجرى حولنا والتى نقع فى محورها.. فما كان ممكنا أن يخلق الله الإنسان ويعطيه الخلافة على لاشىء.. فما دام الانسان هو أكرم ماخلق ومادام قد أعطاه علم الأسماء كلها (أى علم كل شىء) وسخر له الملائكة والجن والشياطين والشمس والقمر والنجوم فكان لابد أن تكون هناك مملكة لهذا الملك.. أرضا يسكنها وكونا يمرح فيه بعقله وبيئة يسخرها ويستغلها بعقله.. وممالك نبات وحيوان يسود عليها ويعيش على ثمراتها وطيباتها.

وطبيعيا أن يكون هذا الملك العظيم هو محل الامتحان والابتلاء.. على هذا الإنعام .. ومن قبل ذلك كان التدريب الأول فى روضة الأطفال حيما أنزله ربه فى جنة وارفه وقال له : وياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة.. كان هذا هو الدرس الأول فى الطاعة والمعصية.. وكان الله يعلم أن آدم اختار الحرية والتمرد.. وأنه سوف يأكل وسوف يطيع شيطانه.. وكان ضمن الدرس أن يتحمل المسئولية ويدفع الثمن فيطرد من جنته ومعه حواء إلى أرض الابتلاء.

كان ذلك الدرس الأول رحمة وتنبيها إلى عواقب النسيان

والغفلة والخضوع للهوى وقد أراد به وبنسله أن يذكر هذا الدرس.. لأن الخطأ سوف يتكرر والعقاب سوف يتكرر فى مسلسل التاريخ كله منذ بدأ أول مرة ربما من مليون سنة أو أكثر إلى ماشاء الله من دهور وأجيال ربما نحن الآن فى آخرها.. لنشهد ألوانا جهنمية من الشرور والمذابح والمحارق والحروب والمقابر الجماعية لألوف يقتلون وذنبهم الوحيد أنهم يقولون ربنا الله.. ونشهد فى الجانب الآخر ارتقاء مذهلا لذلك الإنسان بمواهبه وقدراته ليقتحم الفضاء ويمشى على القمر ويفلق الذرة ويطير فى صورايخ ويغوص فى غواصات ويبنى المطارات الأرضية والمحطات المدارية المعلقة فى السماء .. والمدن المستقبلة السابحة فى الفضاء.

والامتحان مستمر بل هو الآن أصعب وأشق وأخطر مما كان أيام الأكل من الشجرة فى روضة الأطفال.. والنتائج النهائية تقترب بقيامة شاملة يطوى فيها ربنا السماوات كطى السجل للكتاب.. وتكون الأرضين كلها فى قبضته.

كان لابد إذن من تلك الثلاثية.. الله والإنسان والكون.. ليتم الامتحان ثم ليصنف الناس وفق منازلهم ودرجاتهم فى عالم بلاموت نعيما بلا نهاية.. أو شقاء بلا نهاية.

وما أحسب أن هناك فلسفة أو مذهب أو نظرية استطاعت أن تقدم رؤية متكاملة ومعنى لحياتنا بمثل تلك الرؤية الدينية.

وبدون الدين وبدوة الله.. لا معنى لأى شىء.

أما العلم فإنه لايرى أبعد من حواسه وأدوات استشعاره ولايستطيع أن يفهم لأبعد من حساباته.. وبالنسبة للعلم المادى.. الله فكرة غير مطروحة.. لأن العلم المادى لايملك ميزانا أو مسطرة أو برجلا أو منظارا يستطيع أن يرى به الله جهرة أو يعرف وزنه أو مقداره.. فهو إذن غير مطروح بالنسبة للعلم وأدواته.. وربما

طرح بالنسبة لفلاسفة ماوراء الطبيعة فى شحطات من الظن والتخمين وتصورات لاتتفق بقدر ماتختلف ويكذب الواحد منها الآخر ولاتصل إلى شىء..

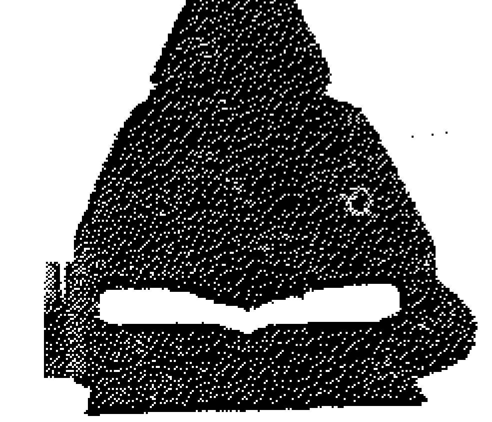
وإنسان العصر الذى يعيش فى دول أوروبا وأمريكا بدون إله.. يعيش حياة رخاء ووفرة ولذة وقوة.. لكنها حياة أقرب إلى الانتحار .. ذلك لأن الخواء يملأها .. واللامعنى فى صميمها.

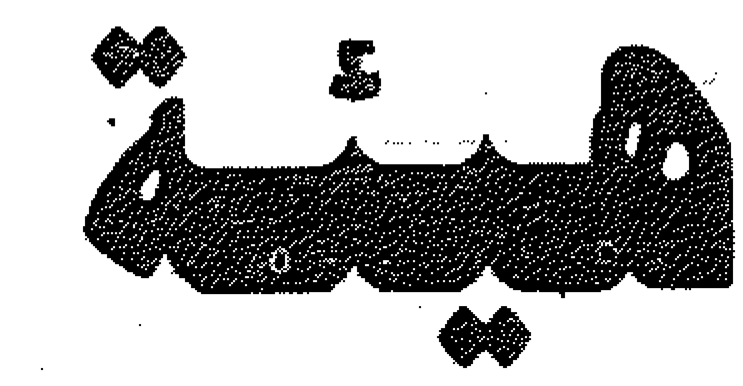
ولو سألونى .. لماذا آمنت .. نريد منك جوابا فى كلمات .. لقلت فى يقين وبلاتردد .. لأنه بدون الله .. لامعنى لى ولا لأى شىء.

الفهرس

رقم الإيـداع ٥٩٧٣ / ١٩٩٦
I. S. B. N الترقيم الدولى
977 - 08 - 0281 - 6

ف: 40 ت: 15/3/2010





الهيئة المصرية العامة للكتاب
كورنيش النيل - بولاق - القاهرة
تلكس جيبو UN ٩٣٩٣٢
القاهرة ت: ٧٧٥٢٢٨ - ٧٧٥٠٠٠
فاكس: ٧٥٤٢١٣ (٠٠٢٠٢)



مجلات هيئة الكتاب الثقافية منارات مضيئة فى بحور الثقافة والمعرفة.

• تواصل هيئة الكتاب رسالتها فى باع الثقافة والمعرفة ليس بنشر الكتاب المتميز فقط ولا باقامة المعارض الدولية لكن بمواصلة اصداراتها من المجلات الثقافية التى تقف كمنارات تواصل اشعاعاتها المضيئة لكل قا[رئ] ومثقف ومجلات الهيئة منها ما [هو] اصدار شهرى وماهو اصدار فصلى [كل] ثلاثة شهور وهى كما يلى:

اولا: مجلات تصدر كل شهر:

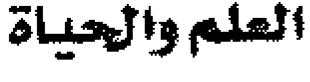
القـــاهرة

مجلة الفكر والفن المعاصر شهرية تصدر يوم ١٥ من كل شهر تثير قضايا فكرية تشغل اهتمامات المجتمع الثقافى فى مصر والعالم العربى وتقتحم مجالات متعددة من صور الفكر المعاصر بهدف المحافظة على الايقاع العام لهذا العصر وعدم التخلف عن كل اشكال الرقى والتقدم.

الثمن ٢٠٠ قرش

رئيس التحرير

أ.د. غالى شكرى



العلم والحياة

مجلة العلم والحياة.. تنقلك الى مواقع اهم الاحداث العلمية.. تتبنى القضايا البيئية وتتابع اللقاءات والمؤتمرات العلمية فى مختلف انحاء العالم.

وبجانب انها مجلة علمية فهى ايضا تحرص على تقديم العديد من الخدمات لقرائها عبر ابواب العلاج المجانى والاستشارات الطبية الى جانب ملحق «العالم الصغير» المخصص للطفل والذى يقدم موسوعة علمية مبسطة للطفل.

الثمن ١٠٠ قرش

رئيس التحرير

أ.د. محمد شرف



ابداع

تصدر المجلة اول كل شهر فى قطع متميز، وتتبنى مفهوما شاملا للابداع من مختلف مجالاته الفنية والادبية والفكرية.

وتعمل من خلال هذا المفهوم على التواصل مع تراث حركة التنوير المصرية والعربية وعلى إثارة القضايا الملحة من الواقع الثقافى من خلال رؤية تجعل من الحرية شرطا للابداع.

الثمن ١٥٠ قرشا

رئيس التحرير

أحمد عبد المعطى حجازى

المسـرح

وهى المجلة الشهرية الوحيدة فى [الوطن] العربى التى تخصصت فى الثقافة المس[رحية] على المستوى التخصصى الاكاديمى وعلى [مستوى] القارىء العادى وهى توفر التغطية ال[...] للعروض المسرحية المصرية وتوثيقها [...] مناهج النقد المسرحى عمليا ابتغاء خ[لق] علمى موضوعى فى النقد المسرحى والد[راسات] المتخصصة الجادة فى شتى فنون ا[لمسرح] والنصوص المسرحية الاجنبية المترجمة [...] عدد الى جانب مقدمات نقدية أو تعريف [...] كل عدد بلد من بلدان العالم وبلقائه الم[...] والموضوعات الصحفية ذات الاهمية الما[...] شتى المجالات المسرحية مثل التحق[يقات] واللقاءات والبورتريهات وتغطية ا[...] والاحتفالات والمهرجانات المسرحية و[...] الاتجاهات الفنية والفكرية التى تبرز فيها [...]

الثمن ١٥٠ قرشا

رئيس التحرير أ.د. محمد [...]

ثانيا: مجلات [...] كل ثلاثة شهور

عالم الـــكتاب

تهتم هذه المجلة بالكتاب كصناعة وفكر وتزود القارىء بأحدث البحوث والمعلومات والمقالات الفنية والاحصاءات فى مجال الكتاب وتهدف المجلة الى مسايرة التطور البيبليوجرافى المصرى والعربى وتقدم نماذج لتقنينات الوصف البيبليوجرافى للمكتبة العربية.

الثمن ٢٠٠ قرش

رئيس التحرير

أ.د. سعد محمد الهج[رسى]

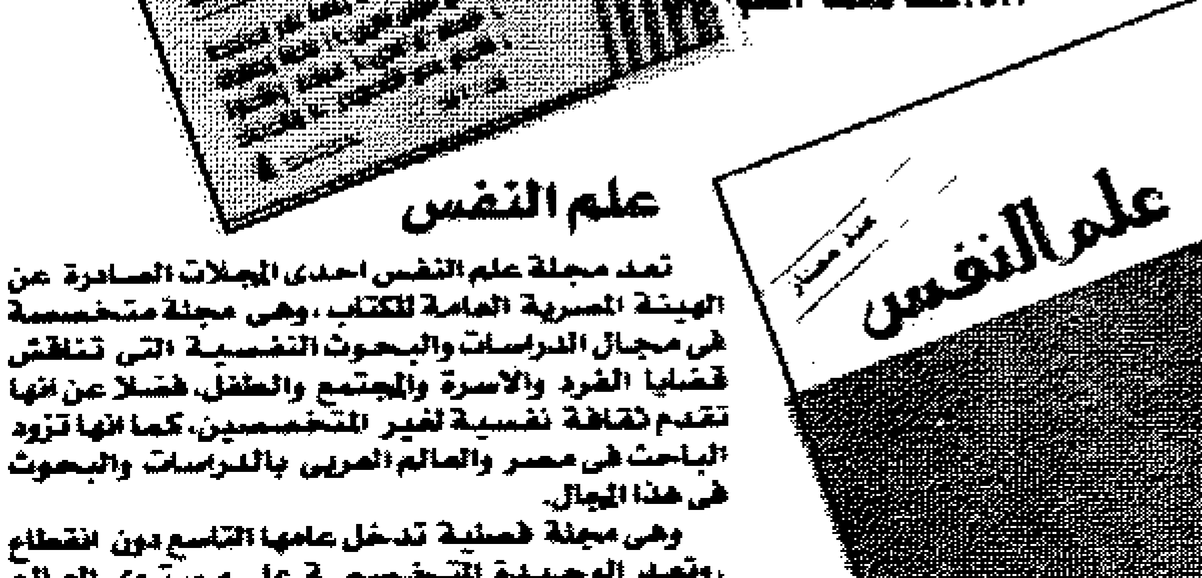
فصول

وهى المجلة الادبية والثقافية التى حققت انتشارا فى مصر والعالم العربى حيث انها تعنى بشئون الادب والنقد الادبى كما انها المجلة الوحيدة التى اعيد طبع اعدادها بعد نفاذ الكميات المطروحة منها بالكامل. وقد وفرت لها الهيئة كل الامكانات الى جانب الطباعة الراقية التى يربو فيها عدد الصفحات اكثر من ثلثمائة صفحة ويقوم على تحريرها نخبة من اعلام الادب والفكر والثقافة من مصر والعالم العربى.

الثمن ٢٠٠ قرش

رئيس التحرير

أ.د. جابر عصفور



علم النفس

تعد مجلة علم النفس احدى المجلات الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، وهى مجلة متخصصة فى مجال الدراسات والبحوث النفسية التى تناقش قضايا الفرد والاسرة والمجتمع والطفل. فضلا عن انها تقدم ثقافة نفسية لغير المتخصصين، كما انها تزود الباحث فى مصر والعالم العربى بالدراسات والبحوث فى هذا المجال.

وهى مجلة فصلية تدخل عامها التاسع دون انقطاع، وتعد الوحيدة المتخصصة على مستوى العالم العربى كله، وتفى لاحتياجات باحثيه ودارسيه.

الثمن ٢٠٠ قرش

رئيس التحرير

أ.د. كاميليا عبد الفتاح

الفنون الشعبية

مجلة متخصصة فى مجالات المأث[ورات] الشعبية (الفولكلور)، تصدر كل ثلاثة ش[هور] وتنشر الدراسات التى تعرف بهذه المأث[ورات] ومناهجها، والمادة الشعبية المأثورة، وك[ل] المتداولة بين الناس. وهى اقدم المج[لات] المتخصصة فى هذا الفرع من فروع العل[م فى] الوطن العربى، فقد اسسها ورأس تحر[يرها] عام ١٩٦٥ الأستاذ الدكت[ور] عبد الحميد يونس.

الثمن ٢٠٠ قرش

رئيس التحر[ير]

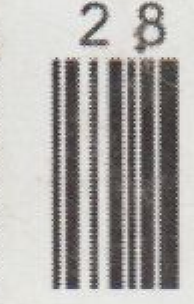
أ.د أحمد على [...]



قطاع الثقافة







28
6 222007 800016